# البرهان
## على عروبة اللغة المصرية القديمة

- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة ، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل .
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات ، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب ، ونشره وتوزيعه .
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه .
- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية .

رئيس المركز

**على عبد الحميد**

مدير المركز

**محمود عبد الحميد**

**مركز الحضارة العربية**

٤ ش العلمين – عمارات الأوقاف

ميدان الكيت كات – القاهرة

تليفاكس : 3448368 (00202)

E.mail: alhdara_alarabia@yahoo.com

alhdara_alarabia@hotmail.com

الدكتور علي فهمي خشيم

# البرهان

## على عروبة اللغة المصرية القديمة

الكتـــــاب : البـــــرهان

على عروبة اللغة المصرية القديمة

الكاتب : د. علي فـهـمي خـشـيم

(ليبيا)

الناشر : مركز الحضارة العربية - القاهرة

مجمع اللغة العربية - طرابلس

الطبعـة العـربيـة الأولى: القـاهرة ٢٠٠٧

رقـم الإيـداع : ٢٠٠٧/٢٥١٩

الترقيم الدولي : I.S.B.N. 977 - 291 - 806-4

الغـلاف

تصميم وجرافيك: ناهد عبد الفتاح

الجمع والصف الإلكتروني

وحدة الصف بالمركز

تنفـــيذ : سـيـــد حـــرزاوى

خشيم، علي فهمي

البـرهان على عروبة اللغة المصرية القـديمة/ د. علي فـهـمي خـشـيم. - ط١ - القاهـرة: مـركـز الحـضـارة العربية للإعلام والنشر والدراسات ٢٠٠٧.

٢٦٤، ٨ ص: ايض ملونة، ١٧×٢٤ سم.

تدمك ٤ - ٨٠٦ - ٢٩١ - ٩٧٧

١ - اللغة المصرية القديمة

أ - العنوان

٤٩٣.٢

# مقدمة

في سنة ١٩٩٠م صدر كتابي (آلهة مصر العربية) وفيه معجمان صغيران بالهيروغليفية مع الترجمة الإنكليزية مأخوذان عن الأستاذين (بدج) و(غاردنر) وقمت بترجمة النصوص المختارة إلى العربية كما وضعت المكافئات العربية التي رأيتها للمفردات المصرية القديمة، ووعدت في الوقت نفسه بإصدار معجم مصري/عربي مقارن (ص ٦٩٩).

مرت الأيام والشهور والأعوام سراعًا. وكنت شرعت في إعداد ما انتويت قبل صدور الكتاب المذكور بحولين. خمسة عشر عامًا مضت، وقد شغلتني شواغل أخرى كثيرة، ولم يتسنَّ لي الوقت الكافي لإتمام ما بدأت حتى يسر الله العودة إلى ما عزمت عليه، وها أنا ذا أقدمه إلى عامة القراء، وخاصتهم، آملا أن يسهم هذا العمل في إزالة بعض من الغبش الذي غطى صورة الصلة الوثيقة بين لسان أهل وادي النيل الأقدمين وبين اللسان العربي المبين، فتثبت عروبة مصر التي أراد لها البعض أن تحسب منعزلة عن محيطها منفصلة عن جيرانها، بل أهلها، وتوهموا، كما أوهموا سواهم، أن ما يُدعى (الحضارة الفرعونية) نبتت وازدهرت بمعزل عما حولها وتميزت، أو امتازت، عن غيرها.. هكذا دون تأثر أو تأثير أو حتى دون فعل وتفاعل أو انفعال. هذه الصلة الوثقى بين حضارة وادي النيل العتيقة وما جاورها من شعوب وأقوام تثبت وتتأكد عن أهم وسيلة للإثبات والتأكيد.. أعني اللغة؛ إذ يمكن القول بنقل، أو استعارة، مظاهر الحضارة كلها، أو جلها، من قوم عن قوم، والزعم بأن شعبًا أخذ عن شعب آخر مظاهر الحضارة المادية، وفي أحيان أخرى أخذ أشياء من الظواهر الثقافية المعنوية في مختلف صورها وأشكالها، إلا اللغة؛ فإنها تمثل كينونة الأقوام وذاتية الشعوب، وبها تعرف صلات الأمم بعضها ببعض - خاصة في الأزمنة العتيقة الممعنة في القدم، حيث تكون هذه الصلات طبيعية دون عامل خارجي يفرضها فرضًا أو عامل من العوامل السياسية أو الاقتصادية يدعو إلى أن تتخذ جماعة ما لسان جماعة أخرى بدلا من لسانها أو تستعير جملة، تكبر أو تصغر، من المفردات والمصطلحات والتعابير العلمية أو الدينية

أو الفكرية، إما لنقص لديها في القدرة على التعبير أو تأثراً من المغلوب بالغالب يقلده ويحتذيه.

اللغة كائن حي متطور. هذه مقولة صارت مسلَّمة. يبدأ - مثل سائر الكائنات - خلية تنقسم، ثم تتلاقح وتتكاثر شيئاً فشيئاً وتنمو مع نمو الإنسان وتطوره عقلا وحياة حتى تبلغ أشدها، وقد تستمر في الحياة عصوراً متطاولة بسبب ظروف معينة، ولكنها تهرم وتموت مهما طال بها الزمان. فإذا شئنا معرفة صلة لغة بأخرى فإن أفضل سبيل لذلك هو البحث في الجذور الأولى لأي منهما، أو لكل منهما، أعني في مفردات الحياة البَدْئية وما يحتاج إليه الإنسان في عيشه وفي تعامله مع محيطه الطبيعي ونمط سلوكه الذي تفرضه عليه بيئته والمكان الذي يوجد فيه؛ إذ لو سلمنا جدلا باقتراض لغة من أخرى ألفاظاً تدخل في عالم المعرفة العلمية والشعائر الدينية والمذاهب الفكرية أو الفلسفية، لسبب من الأسباب، فليس من المعقول القول بأن نفس اللغة انتظرت هذا السبب أو ذاك لتستعير لفظاً يعبر عن الحاجات الطبيعية الأولية، من مأكل ومشرب أو تسميات ما في البيئة من مسميات، أو الحالات التي تمر بالإنسان ويريد التعبير عنها كالألم والفرح والحزن والسعادة والمرض والصحة والولادة والوفاة والحياة والموت.. إلخ. إن الإنسان لا ينتظر أن يأتيه آخر ليأخذ عنه أسماء الماء والنار والشجر والبحر والأرض والسماء والتراب والنهر والشمس والقمر والبرد والجبل والوادي وغيرها من الظواهر الطبيعية. كما أنه لن يصبر حتى يقترض أسماء الحيوان لديه، كالقط والفأر والحمار والحصان والطير والسمك والأسد والنمر والثعلب والذئب والنعجة والكبش والعنز والدجاجة والديك وسواها من الأسماء. وهو لابد - منذ البداية - أن يجد أو يوجد الكلمات المعبرة عن الجوع والعطش، وعن السكن والرداء، وأضدادها؛ الشبع والري والعَراء والعُري؛ لأنها حاجات بشرية ضرورية. كذلك لا مناص من أن يعبر عن العلاقة الأسرية وأفراد الأسرة: الأب والأم والابن والابنة والزوج - ذكرا وأنثى - على الأقل، ثم العم والخال والجد والجدة والأسلاف والأهل والأقارب، لأن الإنسان «اجتماعي بالطبع» ولا بد له من وسيلة توضح علاقاته تلك بمن حوله من الأقربين. وهذا ما ينطبق على مرحلة أكثر تطوراً في الحياة الإنسانية، إذ تتعقد العلاقات وتتشابك الصلات، وبعد مرحلة التقاط الثمر البدائية تأتي مرحلة صيد الحيوان، وبعد

أن كان الإنسان مخلوقًا نباتيًّا تحول إلى آكل للحم أيضًا، وهنا قد يتبادل مع غيره ما زاد عن حاجته من الطعام - نباتًا أو حيوانًا - فيضطر إلى أن يحصي ما أعطى وما أخذ، فيعبر عن الواحد ثم عن الاثنين فما هو أكثر. وقد يتوقف تصوره عند العدد «خمسة» مثلا - كما هو حال بعض الأقوام البدائية - وقد يزيد، بحسب تطوره وتصوره، في التعبير عن أعداد كبيرة جدًا كالمليون وما بعد المليون.

وإذا كان من المقبول والمعقول القول باستعارة تسمية العدد (مليون) مثلا في مجتمع ما من مجتمع آخر فإنه من غير المعقول ولا المقبول زعم الاستعارة ذاتها في الأعداد: واحد، اثنان، ثلاثة - على الأقل؛ لأن العدد «ثلاثة» مثلا هو ما يعبر به عن الأسرة المكونة من أب وأم (زوج وزوجة) ثم من مولود واحد، على الأقل أيضًا، ذكرًا كان أو أنثى.

**اللغات واللهجات:**

هذه «الأساسيات» - وهناك أمثلة أخرى كثيرة - إذا اتفقت، أو تقاربت، ما بين لغة وأخرى عُدّت دليلا قاطعًا على أن ثمة علاقة بين هاتين اللغتين تزداد وضوحًا كلما مضى البحث قُدمًا في المقارنة بينها واكتشاف الرابط الذي يربطها لفظًا ودلالة ومعنى واستعمالا. وهذا ما ينطبق على دراستنا المقارنة ما بين اللغتين المصرية القديمة والعربية العدنانية أو المُضَرية، لغة الجزيرة العربية التي نزل بها القرآن الكريم وانتشرت بفضله وبانتشار الإسلام على طول الوطن العربي الكبير وعرضه. ولا يمتنع - مع هذا - إدراك الصلات بين هاتين اللغتين معًا، أو كلٍّ على حدة، ولغات الوطن العربي القديمة في مختلف أقطاره، بحكم النشأة الأولى من جهة وبحكم الصلات المستمرة على مدى التاريخ من جهة أخرى، ولا ننسى هنا أننا نستعمل مصطلح (لغة) ليس باعتبارها منفصلة عن غيرها مما جاورها أو أحاط بها، بل بمعنى (لهجة)؛ فإن التدقيق والفحص يبينان لنا أن ما نسميه «لغات» هي في الواقع «لهجات» من (لغة أم) واحدة، وإن اضطررنا - بحكم الاصطلاح والعرف - أن نسمي الآن كلا منها «لغة»؛ فقد كان علماء العربية في معاجمهم وبحوثهم يقولون «لغة هذيل»، و«لغة تميم» و«لغة طيئ» على سبيل المثال وهم يعنون «لهجة» أي من هذه القبائل العربية في شبه الجزيرة.

**الأحادية والثنائية:**

وقد ذكرنا أن اللغة كائن حي متطور وقلنا إن التشابه أو التقارب في الألفاظ المعبرة عن الحياة الطبيعية الأولية دليل على الصلة بين لغة وأخرى، وكون اللغة كائنًا حيًا متطورا يجعلنا ننظر في ألفاظ هذه الحياة الأولي فنجد ظاهرة تدعو إلى التأمل والنظر؛ إنها في عدد كبير منها أحادية المقطع فيما سجل من الآثار المصرية، وهي كذلك في المعاجم العربية، أو حتى العروبية القديمة؛ ذلك لأن الإنسان في بداية عهد سحيق في القِدَم كان يعبر بالمقطع الواحد عن أمر ما (فهو لا يزال في مرحلة الحيوانية لم تتطور أدوات الكلام لديه). ثم نمت قدراته واتسعت مداركه وتطورت أدواته الصوتية والعقلية فجاءت مرحلة (الجذر الثنائي) للألفاظ، وتلت ذلك مرحلة (الجذر الثلاثي) أوضح ما تكون في العربية العدنانية، وهي مرحلة متطورة جدًا ربما يمكننا القول إنها «مرحلة الكمال»، وفي هذه المرحلة العليا نزل القرآن الكريم في أكمل صورة لفظا ودلالة، ومن قبله كان ما جرت العادة على تسميته (الشعر الجاهلي) أي شعر ما قبل الإسلام، وتدل تركيباته وألفاظه على أن العربية إبانها كانت قد بلغت حدًا عاليا من التطور والنمو جعل منها لغة بالغة الرقي والقدرة على التعبير الدقيق في مختلف نواحي الحياة البيئية التي كان يحياها عرب الجزيرة.

فيما يلي نقدم أمثلة لما نزعم من المعجم المصري القديم مقارنة بما في العربية:

**(١) كلمات أحادية المقطع:**

«با» (روح حيوانية، نفس حياتية، النفس النامية - حسب تعبير أرسطو). رأى بعض علماء المصريات (امبير - مثلا) أن اللام ساقطة من «بل» وقورنت بالعربية: بال، البال: النفس. لكن رمزها الهيروغليفي عبارة عن صورة طائر (  ) ونكافئها بالعربية: بأى = ارتفع، طار.

(٢) «كا» (النفس العاقلة، القرين). العربية: قوى = العقل. وهي ذات صلة عندنا بكاف التشبيه في العربية (كـ).

(٣) «سا» (ابن). العربية: ذ < ذ و. كذلك: سوى. السواء: المثل، باعتبار الابن صورة من أبيه. نلاحظ أن في المصرية «مس» تعني: ولد، ابن، كما تعني: مثل، شبيه.

(٤) «ب» (مكان). العربية: بوأ. تبوأ: أخذ مكانًا. البيئة: المكان. وتتبادل الباء المفردة والباء المهموسة فنجد:

(٥) «پ» (مرتكز، مجلس). العربية: بوأ. تبوأ: أخذ مكانًا أو مجلسًا.

(٦) «ت» (زمن، حين). العربية: توا. التوّ: الزمان، الحين.

(٧) «د» (أعطى). العربية: أدّى = أعطى.

(٨) «ر» (فم، كلام، رأيٌ). العربية: روى، يروي، رواية = حكى، تكلم[١].

(٩) «ش» (ماء). العربية: شيأ. الشّيء: الماء.

(١٠) «ع» (يد). اللام ساقطة من «عل» < «علا»: ارتفع - شأن اليد.

(١١) «ف» (تقزز). العربية: أفف، تأفف = تقزز (والأصل البعيد محاكاة للصوت عند الاشمئزاز والتقزز: ف ف ف!).

(١٢) «قا» (ارتفع). العربية: قلل > قلّ: ارتفع.

(١٣) «م» (تعال، اقصد). العربية: أم. أمَّ: قصد، اتجه إلى.

**(٢) كلمات ثنائية المقطع** - وهي كثيرة جدًا منها على سبيل المثال:

**أخ:** أزهر، نوّر، اخضرَّ (الكنعانية: أخو = عشب، كلأ)

**إب:** نبات (العربية: أبّ).

**بج:** صاح. (العربية: بوج = صاح).

**تب:** رأس، مرتفع (العربية: تبا = ارتفع).

---

(١) في القبطية roi, ro (فم). ونشير هنا إلى الجذر ori في اللاتينية ومنه oris (فم) ومشتقات أخرى كثيرة في تلك اللغة وقد حار معجمها في تأثيلها، كما اشتق منها العديد مما يتفق بالفم والكلام وما إليه في اللغات الأوروبية، ونضرب مثلا ما في الإنكليزية:

oracle: معبد، موحى (محل كلام الكهانة).

oral: شفوي.

oration: خطاب، خطبة. orator (خطيب). oratio (غناء لا تصحبه موسيقا). oratory (فن الخطابة، فن الكلام)... إلخ.

وإلى هذا تنتمي: r (h) etoric (خطابة)، r (h) etor (معلم الخطابة)، r (h) etori-cian (خطيب، متحدث بكلام غايته الإقناع) إلخ..

**جب:** أرض، إله الأرض (العربية: جبوب).

**حي:** مطر (العربية: حيا = مطر).

**حر:** أعلى، فوق، مرتفع (العربية: حرر. حُرُّ الوجه: أعلاه).

**خخ:** بلعوم، رقبة (العربية: خوخ. الخوخة الممر بين بابين - كالبلعوم).

**دب:** فرس النهر (العربية: دبب. دابة).

**رن:** اسم، نداء، دعوة (العربية: رنن. الرنين: الصوت - وهذا هو المعنى الأصلي).

**سأ:** ظهْر (العربية: سأساء = ظهْر).

**من:** قوي (العربية: منين = قوي).

**شم:** صيف، حرارة (العربية: سموم = حرارة).

**عر:** أسد (العربية: عرا. عروة: الأسد).

**قر:** ساكن (العربية: قرر. قرّ: سكن).

**كب:** مخبأ، ملجأ (العربية: خبأ. خباء، مخبأ).

إلى آخر ما يجده القارئ في هذا المعجم.

ثنائية المقطع، أو ثنائية الجذر، هذه في العروبيات والعربية خاصة قال بها عدد من اللغويين العرب وهي تتأكد يوماً بعد يوم تدعمها دراسة اللغات العروبية القديمة التي كشف النقاب عنها أخيراً ويعود زمانها إلى قرون متطاولة وقفت في تطورها عندها، وهو ما نلاحظه في بعض المفردات العربية الأصيلة ذاتها من مثل: أب (والد) أم (والدة)، أخ (شقيق) من التسميات الأسرية، وكذلك: فم، خَد، فك، دم، فيما يتصل بالجسد. وهذا ما يوضحه أن «لسان» العربية (من الثلاثي: لْسن) جاء في المصرية «نس» = لس (النون بدل من اللام) وهي في الأمازيغية (البربرية): «إلْس» بدون نون في آخرها ومسبقة بالهمزة المكسورة التي لعل أصلها همزة وصل تسبق الحرف الساكن.

على أن في المصرية كمًّا وافراً من الألفاظ ثلاثية الجذر مما يشير إلى أنها هي الأخرى تطورت كتطور بقية أخواتها من العروبيات لتبلغ هذه المرحلة متساوقة معها وإن لم تبلغ فيها ما بلغته العربية، ربما لأنها توقفت في الزمان منذ عهد بعيد، ولم تجر عليها قوانين التطور والنمو وانتهى استعمالها لغة للحياة اليومية منذ أكثر من ألفي عام.

.. وفي قواعدُ اللغة:

يحلو لمن يذهب إلى أنه لا صلة بين المصرية والعربية، أو سواها من العروبيات، القول إن تبادل الكلمات والألفاظ لا يعد دليلا على تلك الصلة بل الأهم هو قواعد اللغة، نحوها وصرفها، وما تنبني عليه من نظام قاعدي لاستعمال الألفاظ اسماً وما يتبعها من تصريف بحسب الحال. وهو يرى أن هذا حجة قاطعة، كما يزعم اختلاف المصرية عن العربية في جملة من القواعد النحوية والصرفية، وفي بعض المعاني والدلالات، كما في تركيب الجملة وأدوات الربط وغيرها. وقد عالجت هذه المسألة بتوسع في كتابي (آلهة مصر العربية، الجزء الثالث، المجلد الثاني، صفحة ٥٨٣ - ٦٤٤)، وفيه بينت التوافق الذي يوشك أن يكون تامًّا بين المصرية والعربية في قضايا من مثل الاسم، العدد، علامة الجمع، العطف، التثنية، الإضافة، المنادى، الضمائر، أسماء الإشارة، أداة التعريف، الأسماء الموصولة، الصفة، الأفعال، حروف الجر، أدوات الاستفهام.. إلخ. وناقشت بالتفصيل اشتراك اللغتين في مسائل: تركيب الجملة، الاشتقاق، أدوات الاستثناء، «إنّ» التوكيد، نون الوقاية، البدل، القلب والإبدال، الأضداد، القطع والإسقاط، المزيد والمضعّف والمضاعف، الفعل المعتل الآخر، المفاضلة، المبالغة، النسبة، الاسم الموصوف، المصدر، «سوف» المستقبل، أدوات الاستفهام المركبة، التعدية.

وليس هنا موطن شرحها والإفاضة فيها، فليعد القارئ إلى الكتاب المذكور، إن شاء ليجد تفصيل ما ذكرت.

لكن المصرية شاركت العربية في عدد كبير من التصريفات، فإن لم يكن، لأن العربية تطورت بصورة فاقت غيرها، فإن المقارنة ببعض العروبيات الأخرى تكشف عن التماثل فيما بينها: فقد شاركت المصرية العربية في اتخاذ التاء للتأنيث، واستعمال الواو للجمع، وتظهر في الفعل الماضي في العربية: سمعو(ا) وفي المضارع: يسمعو(ن)، وفي الأمر: اسمعو(ا). وفي الاسم: سامعو(ن). الألف مزيدة رسما والنون أيضًا مزيدة بدليل حذفها عند الإضافة: سامعو الخبر-.

واتفقت المصرية والسبئية (لغة اليمن القديمة) في اتخاذ **الياء للمثنى** (المصرية: تا (أرض) تاوي (أرضان) وفي السبئية: ثنتي صفحتي: صفحتان. ثني محفدي: محفدان).

وهي - كالعربية - عرفت **ياء النسبة** (رس: جنوب. رسي: جنوبي. رسيت: جنوبية-بياء النسبة وتاء التأنيث) وتميزت المصرية بالنسبة إلى المؤنث بالياء (ضحوت: القمر (=ضحوة). ضحوتي: قمري). وهذا في العربية نادر سوى في بعض الكلمات، كالنسبة إلى أهل الملامة، وهم فرقة صوفية: ملامتي، ملامتية.

ووافقت المصرية السبئية والأمازيغية (البربرية - في شمال أفريقيا) في **تعدية الفعل بالسين**: س.خرخر: أوقع (أخرّ). س. هأي: أهبط (أهْوَى). س. حم: سخن (أحمى) س. نشت: قوّى (نشّط). كما عرفت ميم المكان (مأغرت = مغرت: كهف. مغارة. مكتار، (مكتر: حصن، برج = مجدل). وكذلك ميم الآلة: مأركبتإ = مركبت: عربة، مركبة. مختمت: أداة الختم. مختمة. مأرقت، مرقت: سُلَّم = مرقاة / مأسو= موسو: أداة القطع. موسى). ولو أن هذا قليل، بيد أنها تشارك الكنعانية التي تندر فيها ميم المكان، وهي مرحلة متطورة لم تبلغها اللغتان إلا نزراً بعكس العربية العدنانية[1].

**القلب والإبدال:**

غير أن هناك بعض الظواهر البارزة المشتركة بين المصرية والعربية في حاجة إلى شيء من التفصيل توضح للقارئ ما قد يراه غريباً عند المقارنة ما بين اللغتين وتزيل اللبس لديه عند مكافأتنا كلمة مصرية بأخرى عربية، وأهمها - إلى جانب ما سلف ذكره:

**القلب:**

القلب، أو القلب المكاني، في المعاني هو أن يقدم حرف في الجذر الثلاثي ليحل محل آخر في نفس الجذر، يؤخر ويظل المعنى مع هذا واحدا، من مثل: (جذب / جبذ، عطس / سعط / لوع، ولع / فرغ / فغر) وهو ما لا يزال في اللهجة، مثل الليبية: يطفي / يُفطي (= يُطفئ)، يشعل / يشلع، (قعمز / قمعز)[2] وفي اللهجة المصرية الدارجة: (أرانب / أنارب). وسواء كان هذا القلب نتيجة خاصية في اللغة العربية عند ابن جني ما أسماه (الاشتقاق الكبير) أو نتيجة اختلاف اللهجات[3] فهو ظاهرة

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر: آلهة مصر العربية، ص ٥٨٩ - ٦٤٧.

(٢) بمعنى جلس أو قعد. منحوتة من (قعـ(د) + (ق)مـز) (المصرية «ق م س» = جلس). في (القاموس المحيط) للفيروزآبادي: قعفز منحوتة من (قعد)، (قفز).

(٣) انظر على سبيل المثال: صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص ٢٠٤ وما بعدها.

معروفة على كل حال. وهذا ما نجده في اللغة المصرية القديمة كذلك: فكلمة «م ر ح» مثلاً تترجم إلى الإنكليزية (Lance) وهي العربية «رمح»، «ع م» (with) «مع»، «ب ر ك ت» (Knee)= ركبة، «و ج ب»[1] (answer) = جوب < جاوب / أجاب، «ف ك أ» (reward)= كافأ، «ن م» (who): منْ، «م ر ى» (love): رام، «ر ق ح» (burn): حرق، «هـ ر و» (day)[2]= وهر، «ش ن و ت» (granary): شونت < شونة (مخزن حبوب)، «دم» (Knife): مد < مُدية. وهذه مجرد أمثلة فحسب إذ توجد عشرات، بل مئات، من الكلمات المقلوبة تزخر بها قواميس اللغة المصرية القديمة[3].

الإبدال:

أما الإبدال، الموضوع المهم هنا، فهو من أكثر الظواهر شيوعًا في العربية، وهو أيضًا في اللغات الأخرى معروف. ومعناه أن يبدل صوت بآخر يكون في الغالب الأعم قريبًا من الصوت المبدل، ولا يمتنع أن يكون بعيداً عنه. وهذا ما يسمى التعاقب كذلك؛ إذ لا ندري في كثير من الأحيان أي الصوتين أصلي وأيهما مُبْدل. فنقول إنهما تعاقبا، أي حلّ أحدهما محل الآخر أو أعقب أحدهما الآخر[4].

وقد عقد الدكتور صبحي الصالح فصلا جامعًا في كتابه (دراسات في فقه اللغة، ص٢١٢ - ٢٤٢) لخص فيه أقوال السابقين والمحدثين عن الإبدال اللغوي والإبدال الصرفي وقلب الآراء على وجوهها في الإبدال الذي يسميه «الاشتقاق الأكبر» وقد أيّد بعضها وأنكر بعضها الآخر، ولخص العلاقات التي تسوغ الإبدال اللغوي في أربع: (١): التماثل. (٢): التجانس. (٣): التقارب. (٤): التباعد - بين الأصوات. لكن الطريف في الأمر أن من الأمثلة المحفوظة عن الإبدال اللغوي ما تباعدت فيه هذه

---

(١) الأصل «و ش ب». والشين بدل من الجيم. وسيلي الحديث عن الإبدال في العربية أيضًا. يقال: «جارب»، «واجب» (أي: أجاب). وفي اللهجة الليبية والمالطية: «واجب» = «أجاب».

(٢) الأصل فيها: «شمس». قارن العربية «وهر».

(٣) قارن ما يقوله De Buck في كتابه: (Grammaire Elémentaire du Moyen Egyptien, p. 33).

(٤) للتوسع في هذا الباب هناك مراجع كثيرة يمكن العودة إليها، من مثل (سر الليال في القلب والإبدال) لأحمد فارس الشدياق، (دراسات في فقه اللغة) لصبحي الصالح. ولا يكاد يخلو كتاب عن فقه اللغة أو تاريخها من الحديث عن الإبدال، فلينظر في مواطنه.

الأحرف المبدلة صفة ومخرجًا حتى قال العلماء: «قلما تجد حرفًا إلا وقد وقع فيه البدل ولو نادرا» (ص ٢١٥) ويضيف: «بل اشتملت اللغة على ظواهر مدهشة أحيانا أبدل فيها حرف من حرف من غير أن يتماثلا أويتقاربا في الصفة أوالمخرج» (ص ٢١٦).

ومن الإبدال الشائع المشهور، وهو غالبا ما يقع بين الأحرف المتماثلة أو المتجانسة أو المتقاربة، في مخرج الصوت والصفة معًا أو في أحدهما، كما أن منه النادر الذي «لاحظ الصرفيون إمكان وقوعه في جميع حروف الهجاء» (ص ٢٣٢). وهذا ما سمي «علاقة التباعد» رغم ما في التسمية من تناقض. فالهمزة والعين والحاء والخاء والهاء، والقاف والكاف، والسين والصاد والزاي، والتاء والطاء والثاء والفاء والراء واللام، والدال والتاء والطاء والضاد، والباء والميم.. إلخ تتعاقب بسهولة لقرب مخرج الصوت أو الصفة. والحق أن الحروف المتقاربة المخرج تتعاقب كلها في شواهد لا تعد ولا تحصى، إذ يقال: آديته / أعديته: (قوّيته)، زهاء فئة / زهاق فئة، أرقت الماء / هرقت الماء، المأص / المغص، كتب / كتم، الأقطار / الأقتار (النواحي)، محتد / محفد (أصل)، ثروة / ذروة، ثلغ / فلغ (شدخ)، اللثام / اللغام، شجرة / شيرة، جمل / كمل، مدح / مده، سفل / سفح، مدّ / مطّ، قاد قوسين / قاب قوسين، جبر / جبل (قوي)، جرف / جنف (مال)، شأز / شأس (الغليظ من الأرض)، ذعامة / زعامة، ذعاف / زعاف، الصهيل / السحيل (للخيل)، ساخت الأرض / ناخت، حمس / حمش (اشتدّ)، صخر / سخر، صقر / زقر / سقر، تملص / تملس / تملز (تخلص)، مضمض / مصمص، غمص / غمط، زحلق / زحلف، عائق / عائج، قهر / كهر، ارتج / ارتد، نعاعة / لعاعة (نبت ناعم)، حزن / حزم، الغيم / الغين (السحاب)، المدى / الندى / (الغاية)، لمتقع (لونه) / انتقع، الهودج / الفودج (مركب النساء)، وصّلت الشيء / وضّيت.

هذه كلها، وغيرها كثير، أحرف متجانسة أو متماثلة أو متقاربة في مخرج الصوت أو الصفة، وهناك الأحرف المتباعدة التي تتعاقب من قبل: عكدة اللسان / عكزة اللسان، غمر الشيء في الماء / غمس، نثر / نشر، انداح بطنه / اندال بطنه، خلع / جلع (ذهب حياؤه)، حاس / جاس. فهذه أحرف مبدلة دون صلة صوتية بينها.

ومهما تكن أسباب هذا الإبدال، نتيجة لهجة أو سوء سمع أو تطور صوتي أو غيره، فهو حقيقة واقعة معروفة مشهورة ليس في تاريخ العربية الفصحى فحسب، بل كذلك

في لهجاتنا العربية الحديثة. فعرب مصر اليوم في الوجه البحري أو القاهرة بالذات ينطقون القاف همزة، والذال زايًا والظاء زايًا مفخمة، والثاء سينًا، والجيم قافًا معقودة (أو جيمًا غير معطشة). وفي الصعيد تنطق الجيم دالا، والكاف - في كثير من الكلمات - تنطق في الخليج وبعض مناطق العراق شينا مدغمة في التاء (تش) والقاف في «طريق» مثلا جيمًا معطشة (طريج.. جاسم: قاسم) والجيم ياء، والقاف تنطق همزة ليس في مصر وحدها فقط، بل في بعض مدن الشام، وفي فاس بالمغرب، كذلك الجيم (القاهرية) نجدها في اليمن وهي تبدل في طرابلس (المدينة القديمة بالذات) زايًا كما تبدل الشين المعجمة سينًا مهملة، وقد تخفف الطاء في لهجة تونس العاصمة إلى تاء (تماتم: طماطم، پتاتا: بطاطا). والأصل في هاتين كما في (تاجين: طاجين) هو التاء - لأعجميتها، وفي المغرب تقلب التاء في الكلمات الأعجمية طاء (طاكسي: تاكسي، مثلا)..

هذه الاختلافات اللهجّوية في الواقع ليست اختلافات حديثة بل هي قديمة جدًا نجد مثيلا لكل منها في لهجات القبائل العربية مما لا يدخل في موضوعنا إلا بقدر ما يبين عما نريد بيانه مقارنة بالمصرية القديمة[1]. وفي هذه اللغة يبدو الإبدال ظاهرة بالغة الوضوح بحيث لا نكاد نجد صفحة في معجمها إلا وبه إبدال سواء عند مقارنتها بالعربية أو في المصرية ذاتها. إليك بعض الأمثلة:

«إ ع ب» (قدح) = وعب، «إو» (كلب) = عوى / أوى (قارن «ابن آوى» سمي كذلك لصوته) «إب» (قلب) = لب. «إ ن ق» (حضن) = عنق < عانق، «إدب» (طرف النهر) = ضف < ضفة، «ع أ» (مرتفع) = عل < علي / عال، «ع أ» (حمار) = عير، «ع ن خ» (شسع) = عنش، «ع ر ت» (فك) = عرض < عارض، «ع ح ع و»، (زمن، فترة من الزمان) = عهد، «ع د» (طرف، حاشية) = حد، «وأس» (سيادة، قوة) = بأس. «وأد» (أخضر) = ورق، «و ب د» (حرارة) = ومد (وكذلك وبد)، (م ن ي)، (اليد اليمنى) = يمين < يُمنى، «و ر خ» (دهن، مسح) = مرخ، «و هـ م» (حافر) =

---

(١) ثمة كتب كثيرة تعالج هذا الموضوع، لعل أشملها كتاب الدكتور أحمد علم الدين الجندي: (اللهجات العربية في التراث) في جزءين، الدار العربية للكتاب، طرابلس، تونس ١٩٧٨م.

بهم < إبهام، «و ش د» (سأل) = نشد، «و د ن» (ثقل) = وزن، «ود» (أمر) = وصّى، «ودع» (قسم) = وزّع، «ب أ ق» (شجرة تنتج الزيت) = فوق < الفاق، «ب ح س» (عجْل) = بحزج، «ب س ى» (انسكب، انصبّ، فاض) = بزّ/ بشّ، «ب ث ن» (عصيان، تمرد) = فتن < فتنة، «ب س خ» (فكّ) = فسخ، «ب ق أ»[1] (فتح) = فقأ/ فقع، «پ ت خ» (ألقى أرضًا) = بطح، «م أ ر» (فقير) = معر، «م ن ع» (رضع) = ملج، «م ر ح ت» (زيت التمسيح) = مرخة، «م س خ ن» (محل الراحة/ بيت) = مسكن، «م ت ن» (طريق) = متن، «رد» (تكلم/ أحدث صوتًا) = شد < شدا، «ن ب س» (شجرة السدر) = نبق، «ن هـ پ» (عجلة الخزاف) = لحف/ لف. «ن ح د ت» (سنٌّ) = ناجذة، «ن خ ب» (فتح) = نخب/ نقب، «ن خ ب» (صفة تطلق فتصير اسمًا) = لقب، «ن خ ت» (قوي) = نشط، ناشط، «ن س و» (الفرعون) = نشأ، «ن أ س» (ضئيل، قليل) = نقص، «ر هـ د» (غسل) = رحض، «ر خ ت» (عدد من الناس) = رهط.

«ح أ ت» (جدار) = حيط، حوط < حائط، «هـ ق س» (غير مكتمل) = نقص < ناقص، «هد» (عقاب) = حدأ، «ح أ» (مؤخرة الرأس) = حلأ، «ح أ ي» (غير كاسٍ) عَري. «خ أ پ» (ستر) = أخفى/ خفي[2]، «ح و ن» (شاب، شباب) = حول < حولي (خروف صغير) وقارن: حون = جدي صغير، «ح ب س» (ثياب) = لبس، وقارن: حبس = ضم في الثوب). «ح س پ» (حديقة) = < عزبة، «ح س ب» (عدّ = حسب، «خ م» (معبد) = حمى، «خ م ن و» (العدد «٨») = ثمن < ثمانية، «خ ن» (سكن، بيت) = خنّ/ كنّ/ قنّ (بيت)، «خ ن ب» (سلب، سرق) = خلب[3] «خ ن م» (صديق، رفيق) = خلْم (صديق)، «خ ر ش» (صُرّة) = خُرْج، «ح ع م» (اقترب بنية

---

(١) إذا قرأناها «ف ج أ» فهي تكافئ العربية: فجأ > فجو < فجاة، فجوة = فتحة. وإذا قابلنا الباء المهموسة (P) بالباء المفردة (ب) وجدناها تكافئ الجذر الثنائي في العربية (بج) وهو يؤدي حين يثلث إلى معاني الشق والفتح.

(٢) اللهجة الليبية: «غبّى» = أخفى، يخفي. وقارن الفصحى: غاب، غيب، وهي ذات صلة بـ «غبى» = مستور الفهم. والمزيد: غيهب = ظلمة، ستر، إخفاء.

(٣) اللهجة الليبية: «خنّاب» = سارق. «خنب» = سرق.

عدوانية) = هجم، «ح ع ق» (أزال الشعر) = حلق، «ح پ أ» (سرة / الحبل السرِّي) = حبل، «خ ن م» (الكبش المعبود) = غنم، «خ د ب» (قَتَل) = خطب / حطب / شطب = ذبح / قطع (= قتل)، «س أ ب» (ابن آوى) = ذئب (وقارن كذلك: سيب) «س ي أ» (أحسَّ) = شعر، «س ب ح» (صاح) = سبح / ضبح، «س پ د» (ثاقب) = سفد، «س م» (وحَّد) = زمَّ / ضم، «س ن ب» (صحة، عافية) = سلم < سلامة، «س ن ب» (ارتقى) = سنم < سنّم / سنام، «س ر خ» (بناء عال) = صرح، «س ح م» (دقّ) = سحن / سحق (قارن: طحن)، «س ق ر» (ضرب) = صقر (ضرب)، «س ك م» (أشيب الشعر) = شخم < أشخم، «س ت پ» (قطع، اختار، تخيّر) = صطف < اصطفى، «س ت ى» (رائحة، عطر) = شذى، «س ت أ» (جذب) = شدّ، «س د ب» (منع / شدّ إلى الوراء) = جذب، «ش ع» (قطع) = شجّ / شقّ، «ش و ى» (فارغ) = خوي، «ش ب ر» (طعام) = شبع، وجبة، «ش م»، و«خ م» (حر، حرارة) = سموم، جحيم، «س ن د ت» (شجرة الأكاسيا) = سنط، «ق ن ب ت» (زاوية، ركن) = جنب، «ق ر» (كهف) = غور / غار. «ج م ح» (نظَر، شاهدَ) = شبح، «ت ى ت ى» (مشى فوق، داس) = دأدأ، «ت پ» (رأس) = تب، تب < تابَ / تابة / تبّة (رأس)، «د ب ن» (كوَّر، دوَّر) = طبن / طبل / دبل، «د ن ح» (جَناحُ)، «دس» (سكين) + قصّ / قاصّ، «د ش ر» (أحمر) = قشر / شرق / شقر < أشقر، «د ع م» (تبرٌ) = ذهب، «دو» (شرّ) = سو / سوء، «د ب ت» (لبنة بناء) = طوب < طوبة، «د ب أ و» (ما ظل على سطح الماء) = طفو، «د ب ع» (أنملة) = صبع < إصبع، «د ن د» (غضب / غيظ) = حنق / قند، «در» (حائط) = سور، «درد» (ورق الشجر) = جريد (النخل)، «ن د م» (طريّ، أملس) = نعم < ناعم.

***

وهذه بالطبع ليست كل الكلمات التي حدث فيها الإبدال، ولكنها مجرد نماذج تُظهر للقارئ صوراً من تعاقب الأصوات والأحرف بين المصرية والعربية، وقد تبين الشيء ذاته في العربية من قبل.

وقد يحدث في الكلمة المصرية القلب والإبدال معا، وهذا ما يجعلها تبدو غريبة

عند الوهلة الأولى، بيد أنها لا تلبث أن تظهر عروبيتها عند التحليل. خذ مثلا الكلمة الشهيرة «س د م» s d m وأقول «شهيرة» لأنها المستخدمة في كتب قواعد اللغة المصرية للوزن في التصريف والنحو، كما تستعمل في العربية «فعل» والعبرية «قتل». و«س د م» هذه تعني «سمع»، وقد أبدلت العين بالصوت د d [1] فهي «س ع م» وهذه مقلوب «س م ع» كما ترى، ولكي نؤكد أنها مقلوبة ومبدلة نشير إلى أنها قُلبت في لهجة عرب الشمال الإفريقي (= الجبايلية) وأبدلت عينها غينًا فكانت «م ز غ» غ mz (orielle) = سمع (معجم داليه (Dictionnaire Kabyle - Français, p. Dallet) [2]، وهناك «ح ت پ» (تقدمة / عطية / قربان) الباء المهموسة فيها تكافئ الفاء «ح ت ف» وهي مقلوب «ت ح ف» < / أتحف (= قدّم، أعطى، وهب) ... إلخ. وهناك «ت پ ح. ت» (حفرة). باؤها المهموسة تكافئ الفاء «ت ف ح» مقلوب «ف ت ح» < فتحة (لاحظ أن العربية «فتح» = حَفر، وكذلك «فَحت»). وفي المصرية «ح ف أ و» (ثعبان / حنش) حاؤها تقابل العين (ع ف أ و) وهي مقلوب «ف ع أ و» (ف ع و) التي تؤدي إلى «أفعى». وفيها «ع پ ر» cpr (علم) باؤها المهموسة تكافئ الفاء (ع ف ر) مقلوب «عرف». وهكذا...

ونظرًا للكثرة الكاثرة من ظاهرتي القلب المكاني والإبدال، الذي يسمى أيضًا التعاقب، بين الأصوات والحروف في المصرية ذاتها وعند مقابلة مفرداتها بالعربية، فإنني لم أعمد إلى بيان أي منهما إلا في حالات قليلة تاركًا الأمر لفطنة القارئ وإدراكه

---

(١) انظر مبحث «الأصول العربية لرموز الهجاء الهيروغليفية» في (آلهة مصر العربية) عن هذا الصوت / الرمز.

(٢) هذا في الجبايلية وكذلك في لهجة الريف (amzaugh) أما في لهجة السوس (الشلحية) فهي بالقاف المعقودة (mzq) بدلا من (الغين) أو (العين). وكما أبدلت السين (زايا) في هذه اللهجات أبدلت (ظاء) أو (زايًا ثقيلة) في التارقية في كلمة amzag (تنطق «أمظاغ» كنطق أهل مصر للظاء في «العظيم» أو كنطق الأتراك لها، وتعني: «أصم» (sourd). هل هي من الأضداد؟. (راجع: Cortade. p 10). ولكي نثبت أن «س د م» sdm (= س ع م) «س م د» (=س م ع) نشير إلى أن هذه الكلمة تعني الجذر «سمع» (hear) لكننا نجد كلمة (msdr) تعني «أذن» وهي مكونة من ms d+r. وواضح أن msd هي مقلوب sdm. وهكذا نرى القلب المكاني للكلمة في المصرية نفسها. (انظر: غاردنر - Gardiner, Eg. Gr., p. 463).

وحسن تقديره، فضلا عما أوضحته من قبل وفي بداية كل حرف من حروف الهجاء وإمكانية تعاقبه مع حروف ذكرتها أو حتى تلك التي لم أذكرها.

**الأضداد:**

معنى الضدية في الكلمة أن تدل على شيء وعلى ضده في الوقت نفسه، وهو باب مشهور هناك من يؤيده بشواهد واستدلالات كثيرة، وثمة من يرفضه ويرى أنه من غير الممكن أن يدل اللفظ على معنى وضده في ذات الوقت، وما الأمر سوى اختلاف لهجات أو اختلاف دلالات تطورت في مكان بشكل جعلها تبدو ضدّا في مكان آخر[1]، أو استعمال لفظ يبدو ضداً للتفاؤل أو المجاملة، من قَبَل قولهم «بصير» للأعمى و«سليم» للملدوغ و«روي» أو «ريان» للعطشان. على أن العامية قد تلجأ إلى فكرة التضاد تفاؤلا على نحو ما عرفنا في اللغة الفصيحة. فهم يكنون عن الأعور بـ«كريم العين». كما أن التونسيين يطلقون على النار: العافية «وهذا ما ورد في اللغة الفصيحة أيضا» ويسمون الفحم «بياضًا» هروبًا من سواد الفحم إلى البياض الذي يتفاءل به[2].

ويبدو أن المصرية القديمة عرفت شيئًا من هذا القبيل، ونختار بعض الكلمات التي تطابق ما في العربية:

(١) في الجذر «ش پ» نقرأ: «ش پ» (نور)، «ش پ و» (ضياء، إشعاع، ألق)، «ش پ ت» (شيء لامع) (معجم بدج، ص ٧٣٦)، ولكننا نقرأ في نفس المادة: «ش پ ت» (عمى، غشاوة البصر)، «ش پ» (يُعمي، يعمى)، «ش ب و» (أعمى، فاقد البصر).

---

(١) انظر للتفصيل: إبراهيم السامرائي، التطور اللغوي التاريخي، ص ٩٥ - ١٠٨.

(٢) المصدر السابق، ص ١٠٨. والشيء نفسه في اللهجة الليبية: (عافية = نار، بياض = فحم). ونضيف أن في اللهجة الليبية يُسمى السائل: «الوهّاب» (مع أنه هو الذي يوهب ولا يهب) تأدبا. ونحسب أن في الإنكليزية شيئًا من هذا: فكلمة black تعني «أسود»، ويرجعها (معجم أكسفورد) إلى الجرمانية blac ويقول إنها (مجهولة الأصل). وفي رأينا أنها ذات صلة بالفرنسية blanche = أبيض. ولعل black بسقوط النون (قارن الإيطالية bianco = أبيض) كان معناها «أبيض» ثم صارت تعني «أسود» كما يسمى الفحم في ليبيا وتونس «بياض»، ونرى أنها ذات صلة بالعربية «بلق» التي تفيد اختلاط السواد بالبياض، مع أن معناها الأصلي يفيد البياض فقط.

إن الباء المهموسة هنا تقابل الفاء، وبذا تكافئ **«شپ»** العربية **«شف»** < «شفف» وهي مادة تفيد سهولة الرؤية ومنها «الشف» الثوب الرقيق الذي يرى ما وراءه. و«استشف ما وراءه: أبصره». وفي الدارجة «الشوف: الرؤية، شاف: رأى، أبصر». فهل كان المصريون القدماء يسمون الأعمى «بصيراً»؟

المثير أن مادة «شفف» في العربية تؤدي إلى «الشف» ومعناه: الزيادة والنقصان وهو من الأضداد، يقال: شف الدرهم، يشف إذا زاد وإذا نقص» (اللسان).

أما لمن يرفض فكرة الأضداد فإن تفسير «ش پ» بمعنى «أعمى» يكون على أساس أن الشين مبدلة من الكاف، والباء المهموسة من الفاء، فتجد «كف» ومنها: «كفيف» (فعيل) أي المكفوف البصر: الأعمى.

(٢) في المصرية: **«أف»**: قوة، صحة. كذلك: «أ ف و»: نوع من البلسم أو الدواء (معجم بدج، ص ٥). ومن نفس الجذر: «أ ف ي ت»: لهيب، نار (المصدر نفسه ص٦).

الهمزة هنا تعاقبت مع العين لقرب مخرج الصوت (أف = ع ف، أف و = ع ف و). ومن مادة «عفا» العربية: العافية: الصحة، ضد المرض، أي القوة - والدواء وسيلة الخلاص من المرض واستعادة الصحة فهو العافي (وفي اللهجة الليبية بسم الله العافي الشافي - أي سبب العافية والشفاء. وفيها: «عويْفيّة» تصغير «عافية». فلان «بعويفيته»: فلان بكامل صحته، أو قوته).

وفي لهجة عرب مصر «عفي» = ذو صحة. و«العوافي» تقال للتحية، جمع «عافية»، ويقال: «فلان بعافية» أي مريض. وفي لهجة عرب الشام = «ينطيك(*) العافية» = «ليعطيك الله الصحة».

الشيء نفسه في «أ ف ى ت» أ = ع = «ع ف ي ت»: «عافية» (لهب، نار)، وفي لهجة تونس وليبيا وهذا ما ورد في اللغة الفصيحة أيضاً[1]. وهي تصغّر كذلك في اللهجة الليبية: «عويْفِيّة». فهل حسب عرب مصر القدماء النار مصدراً للعافية (القوة

---

(*) أي: يعطيك. وفي الفصحى: أنطى = أعطى - بتعاقب العين والنون.

(١) حسب قول إبراهيم السامرائي. ولم أعثر في (اللسان) على ما يؤيد هذا القول.

والصحة) وهي لا شك كذلك في حياتنا إعداد طعام ودفئًا وربما معالجة كذلك؟ أم ظنوها خطرًا حين تشتعل في شيء فتحرق ولا تبقي ولا تذر فأسموها «العافية» طلبًا للصحة والسلامة و«العفو»؟!

ومرة أخرى نقول لمن يرفضون الأضداد: قد تكون «أ ف ي ت» ببساطة مأخوذة من الجذر «أف» وهو الصوت الذي يصدره من ينفخ النار ليوقدها في الحطب، وهي في لغة الطفولة «أُفّة» وفي اللهجة الجبالية (البربرية) «أفت» كذلك.

(٣) هناك أيضًا في المصرية كلمة «ح م» وتأتي بمعنيين: (أ) خادم، أو عبد، (ب) سيد أو أمير، ونحوهما. ويفرق بينها في الكتابة عن طريق المحدد (determinative) إذ يرسم الرمز الهيروغليفي للصوت «ح م» فإن كان المقصود «خادم» رسم إلى جانبه صورة رجل باسط ذراعيه بهيئة الخضوع، أو امرأة «ح م ت»، أما إذا كان المقصود التعبير عن السيادة والمُلك فترسم صورة رجل جالس على رأسه تاج وبيده صولجان الحكم[1].

المكافئ العربي هنا هو الجذر الثنائي «حم» ومنه الثلاثي المعتل الآخر «حما» وفيه مادة غزيرة، ومنه «الحمو» أي (الحامي) المدافع أصلا ثم صارت تطلق على والد الزوج باعتباره (حامي) العائلة الكبير، كما أن منه «الحمي» أي (المحمي) المدافَع عنه، شأن الخادم، ولا نبعد؛ فإن كلمة «مولى» العربية تؤدي الغاية، فهي تعني «السيد»، صاحب الأمر، كما تعني «الخادم»، أو التابع أيضًا.

**القطع والإسقاط:**

يلاحظ الأستاذ «هومبورجر»[2] أن تاء التأنيث في العربية تكتب ولا تنطق. ومن رأيه أن الأمر كان كذلك في المصرية بدليل ما نجده في ابنتها القبطية. ففي المصرية تكتب تاء التأنيث في كلمة «ذ ر ت» (يد).. أما في القبطية فهي «توري» Tore مما يبرهن على إسقاطها. أما فيما يتعلق بالعربية فالأمر صحيح ولكن ليس بإطلاقه؛ ففي النصوص العربية الجنوبية، وفي الكنعانية والأكادية، تبرز (تاء التأنيث)

---

(١) انظر: Watterson, Introducing Egyptian Hieroglyphs, p. 82.

(٢) انظر: Homburger, Le Langage et les Langues, p. 110.

بشكل لا يمكن معه إلا أن تنطق. وكان الأمر كذلك عند بعض قبائل الجزيرة[1]. وكان لرسم التاء شكل واحد. أما في العربية الفصحى فقد أُهمل نطق هذه التاء إلا في حالتي (التنوين) و(الإضافة) أو إذا أتبعت الكلمة المفردة المؤنثة بصفة. تقول: فاطمة (فلا تنطق التاء بل تتحول هاء مقطوعة)، فاطمة الخير / فاطمة الزهراء (تنطق تاء التأنيث هنا بوضوح) ومن هنا جاء رسم التاء المربوطة (ة/ـة) الذي يشبه الهاء وهو نطقها في الواقع، بزيادة نقطتين مختلفا عن التاء المفتوحة (ت/ـت) الواجبة النطق[2]. بل إن تاء التأنيث يمكن أن تسقط تماما في العربية مع أن الأصل وجودها؛ فيقال في الشعر: «أفاطمَ» مثلا بدلا من «فاطمة» ويقال: «مي» بدلا من «مية» - والأغلب أن يكون هذا في الأسماء المؤنثة.

وفي المثل الذي قدمه الأستاذ «هومبرجر» نرى بوضوح أن المصرية «**ذرت**» التي ترجمها «يد» ليست إلا العربية «ذرع < ذراع[3]» < ذرعة (مصغرها: ذُريعة) وكونها في القبطية tore يقابل العربية «ذراع». فالإسقاط هنا لم يكن في تاء التأنيث ولكنه كان في عين «ذراع» أي الحرف الأخير منها وهو أساسي فيها وهذا ما يسمى «القطع» الذي سنتحدث عنه بعد قليل.

السيدة «وترسون» من جهتها تورد مثلا آخر هو كلمة «پ ت» pt التي تعني «سماء» وترى أنها كانت تنطق «pet» وحجتها في ذلك أنها في القبطية (pe) وقد سقط الحرف الأخير من pet، أي حرف التاء بمرور الزمن «لأن حرف التاء في المصرية حرف ضعيف مثل حرف g في الإنكليزية وفي اللغتين تسقط الحروف الضعيفة آخر الكلمات، فمثلا

---

(١) لكن قبيلة طيئ كانت تنطق تاء التأنيث، فيقولون: طلحت، شجرت، جحفت = طلحة، شجرة، جحفة وهي لغة حمير (تمرت = تمرة). انظر: أحمد علم الدين الجندي؛ اللهجات العربية في التراث، ص ٥٠١ - ٥٠٢.

(٢) قارن هذا التطور في كلمة «الصلاة» مثلا، نجدها في الرسم العثماني للقرآن الكريم «الصلوت» وربما كان نطقها «صلُوت» salût: تحية، سلام، دعاء - صلاة (بالمناسبة: قارن اللاتينية salutu(s). ومنها المشتقات الكثيرة في اللغات الأوروبية بمعنى: تحية، دعاء - صلاة).

(٣) الذراع: ما بين طرف المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى، أنثى وقد تذكر.. وفي حديث عائشة وزينب قالت زينب لرسول الله ﷺ: حسبك إذا قلبت لك ابنة أبي قحافة ذريعتيها. الذريعة تصغير الذراع، ولحوق الهاء لكونها مؤنثة» (اللسان، مادة: ذرع).

يسقط حرف g في الإنكليزية فتتحول getting إلى gettin وكلمة going إلى goin[1]». والواقع أن حرف التاء هنا ليس أصليًّا، بل هو تاء التأنيث والأصل هو «ب ء» pa الذي يفيد الارتفاع (انظر معجم بدج، ص ٢٢٩ - ٢٣٠) وعربيته: «بأو، بأي»: ارتفع... والصيغة القبطية (pe) راجعة إلى الأصل المذكر، أما في المصرية القديمة فقد أُنّثت p a. t «پ أ ت» ثم أُدغمت «پ ت» pt أو بمعنى آخر إن الهمزة هي التي أُسقطت لسهولة إسقاطها.

وعلى كل حال فإن لدينا ظاهرة واضحة في المصرية هي ظاهرة إسقاط الأحرف من الكلمة، أولها، أو وسطها، أو آخرها. وهي غالبًا ما تكون في الأحرف اللينة. مثلا:

| | |
|---|---|
| «ب ق»: لمع، شع، سطع. | العربية: **برق**. (أُسقطت الراء). |
| «ب ك»: عمل، خدم. | العربية: **بَرَكَ**. (أُسقطت الراء). |
| «س ق»: دمّر، حطّم. | العربية: **سَحَقَ**. (أُسقطت الحاء). |
| «ن ر»: طير كبير، عقاب. | العربية: **نسر**. (أُسقطت السين). |
| «ن ق»: رفيع، عظيم | العربية: **عنق** < عناق. (أُسقطت العين). |

وهذا إسقاط للأحرف في أول الكلمة أو وسطها. وهناك إسقاطها في آخر الكلمة، من مثل:

| | |
|---|---|
| «ب ك.ت»: نجمة الصباح. | العربية: **بكرة، باكرة** < (أُسقطت الراء). |
| «م ت»: وسط. | العربية: **متن** (أُسقطت النون). |
| «ش س»: رباط. | العربية: **شسع**. (أُسقطت العين). |
| «ن ك»: عدو. | العربية: **نكر**[2] (أُسقطت الراء). |
| «ن ع»: رطب، حول الشيء إلى مسحوق. | العربية: **نعّم** (أُسقطت الميم). |
| «ب ح س»: عجل. | العربية: **بحزج** (أُسقطت الجيم). |
| «ب ش»: ذرة رفيعة. | العربية: **بشن** < بشنة (أُسقطت النون). |

---

(١) Barbara Watterson: Introducing Egyptian Hieroglyphs, p. 59.

(٢) قارن «نكرة» (= مجهول) أي غير معروف، ليس من الأهل، فهو «عدو». الأكادية: «نكارو» -na karu – عدو.

إسقاط الحرف الأخير يسمّى «القطع» أو «القطعة» وهو في لغة طيئ معروف. (يقولون: يا أبا الحكأ = يا أبا الحكم). ومنها تسرب إلى غيرها من القبائل[1]، ونجدها في العربية: احتسى: احتسب، الحصى: الحصب، الشجى: الشجب، الكظا: الكظب، وقد أقهى من الطعام وأقهم. وإذا كانت القطعة تبرز هنا في حرفي الياء والميم فإنها تبدو في اللهجات العربية الحديثة في أحرف أخرى[2].

وليس من غايتنا هنا تتبع أسباب هذا الإسقاط وهذه القطعة، فقد تكون للسرعة في الحديث، وقد تكون بقايا مرحلة ثنائية الجذر في بعض الأحوال، وقد تكون إبدالا بهمزة (قارن: الحكأ = الحكم) صارت مدّة أو ألفا مقصورة (قارن: حصى = حصب). ولكن الغاية إظهار مدى التوافق بين العربية والمصرية حتى في الخصائص اللهجوية التي تحولت إلى ظاهرة لغوية.

**المزيد والمُضعَّف والمُضاعف:**

في العربية هناك (الفعل المجرد) وهو الجذر الأصلي، وهناك (المزيد) حرفا أو أكثر يضيف معنى جديدا إليه. وهذا يدخل في باب اشتقاق الأفعال والأسماء والصفات والأحوال من الجذر. لكن ثمة من المزيدات ما يُدّعى المُضعَّف وهو عادة حرفان شُدِّد ثانيهما فحسبت ثلاثة دون أن يظهر الثالث كتابة مثل: عدّ < عدَدَ، شدّ < شدد، ردّ < ردد، ضمّ < ضمم، شمّ < شمم، رقّ < رقَقَ، بسّ < بسس... إلخ. وقد اتخذ أصحاب القول بثنائية الجذر في العربية هذا دليلا؛ فقالوا إن الأصل هو: عدْ، شدْ، ردْ، ضمْ،

---

(١) نجدها عند شعراء من غير طيئ، كزهير وجرير ولبيد بن ربيعة وعبيد بن الأبرص، وغيرهم. ولم تكن القطعة لديهم لضرورة شعرية، بل هي لهجة جاءت من طيئ التي كانت ديار قبائلهم تجاورها أو متصلة بها. انظر: الجندي: اللهجات العربية في التراث، ص ٦٩٣ - ٦٩٥.

(٢) يضرب الدكتور الجندي (المصدر السابق، ص ٦٩٦) أمثلة: في بعض مناطق مصر يقولون: (النهار طلا): طلع، (النور ظها) = ظهر. وفي جبل لبنان: (أبو الحسا) = أبو الحسن. وفي رشيد والشرقية بمصر يقولون: (فين أخوك محا) = محمد، (خمسأو) = خمسة قروش. وفي الجزيرة بالسودان تُحذف الدال من (عبد، عند، عدد) قارن اللهجة الليبية: (عبسلام) = عبد السلام، (عبسميع) = عبد السميع. وهذا ما يطابق ما في العربية الحجازية: (عبشمس) = عبد شمس. ونضيف أن عرب المطقة الشرقية في ليبيا يقولون: «إنت ياراء يعنون: «أنت يا رجل». فيسقطون (الجيم) و(اللام) ويبقون على الراء فقط من «رجل».

شَمْ، رقْ، بَسْ... ثم ثُلث بتكرار الحرف الثاني وأُدغم، فكانت الشدة التي فُكَّت فحسب الحرف حرفين والأصل كونه واحداً مضافاً إلى الأول.

في اللغة المصرية نجد الدليل واضحًا، ذلك لأن عدداً كبيراً من جذورها ثنائي، بل ثمة عدد وافر أحادي الجذر، غير أن المُلاحظ أن عدداً آخر يرد ثنائي الجذر ثم نجده مضعفًا بتكرار الحرف الثاني، والمعنى واحد. ولما كانت المصرية لم تعرف الشدة فإن هذا الحرف المزيد يظهر في الكتابة مثلها في ذلك مثل اللغات الأوروبية، أو كما يحدث حيث يفك التشديد (التضعيف) في العربية.

فيما يلي أمثلة مأخوذة من معجمي (بدج) و(غاردنر) مجرد أمثلة وليس للحصر[1]:

«ن م» (نَامَ) < «ن م م».

«ن خ» (حماية قوة)[2] < «ن خ خ».

«ور» (عظيم)[3] < «ورر».

«م ن و» (قلعة)[4] < «م ن ن و».

«ع خ و» (ظلمة أول الليل)[5] < «ع خ خ و».

«ع ف» (طار)[6] < «ع ف ف».

«ن ق» (صياح الوز)[7] < «ن ق ق».

«ع ن» (رجع، ارتد)[8] < «ع ن ن».

«ن ع» (نعم، ناعم)[9] < «ن ع ع».

---

(١) قارن (Gardiner, Eg. Grammar, p. 210 - 214).

(٢) قارن العربية: «نخ» < نخخ < نخوة.

(٣) قارن العربية: وري < وريّ، وار = كبير، عظيم.

(٤) الأصل هو الجذر «م ن» ويفيد القوة والمناعة (قارن: من < منع < منعة / مناعة) أي الحصانة (قارن: الحصن). وقارن الجذر العربي: منن = القوة.

(٥) الخاء إبدال من الشين = «ع ش و» < عشيّ، مساء = العشاء = الليل، العشو = ظلمة البصر.

(٦) العربية: «عوف» = طار. عفَّ الطير: زجره ليطير = أطاره، طيَّره.

(٧) نقَّ = صوَّت. قارن: نقيق الضفدع = صوته.

(٨) العربية: «عنا = خضع، أي ارتد.

(٩) في الجذر العربي «نعع» أيضًا معنى النعومة: النَّعاعة عشبة طرية ناعمة، ومنه: النعناع، النعنع، مضاعف «نع».

**«ر ن»** (دعا – مدح)[1] < **«ر ن ن»**.

**«ش ب»** (خَلَطَ)[2] < **«ش ب ب»**.

**«ش م»** (حار)[3] < **«ش م م»**.

هذه أمثلة عن (المضعَّف). أما (المضاعف) وهو تكرار الجذر الثنائي ليصبح رباعيًا – فمن أمثلته:

| | |
|---|---|
| «هـم هـم» (زأر، صاح صيحة الحرب) | العربية: «همهم» مضاعف «هم». |
| «ق ب ق ب» (خرَّ، سقط) | العربية: «كبكب» مضاعف «كب». |
| «پ ت پ ت» (كسر، حطم) | العربية: «فتفت» مضاعف «فت»[4]. |
| «ن ق ن ق» (صوت الإوز) | العربية: «نقنق» مضاعف «نق»[5]. |
| «ك ح ك ح» (شاخ، كبر) | العربية: «كحكح» مضاعف «كح». (الكحكاح: الشيخ)[6]. |
| «س ن س ن» (آخى) | العربية: «صن < صنوٌ/ صنُونَ». أو: «ثن < ثنّى». |

**همزة الوصل:**

لاحظت في أثناء قراءاتي أن عددًا من الكلمات المصرية بعضها أسماء وبعضها أفعال **يزاد حرف «إ» في أولها مع وجود نفس الدلالة بدونها أحيانًا** تتضح عند مقابلتها بالعربية. وقد تكون هذه الزيادة ذات دلالة لم يلتفت إليها واضعو معاجم اللغة المصرية. من ذلك مثلا: «إههي» (فرح، سرور) = هأهأ (ضحك، قهقه = هاها)!

**«إوتن»** = وطن (ت = ط).

---

(١) الأصل في «ر ن» ارتفاع الصوت في المصرية، قارن العربية: ر ن < رنن < رنينٌ/ رنأن.

(٢) الجذر الثنائي «شب» أدى في العربية إلى: ١ «وشب» ٢ «شبن». وهما يفيدان الخلط.

(٣) الشين إبدال من السين في العربية: «سم» < سُمّ، سمومٌ ريح حارة.

(٤) «پ» «ف».

(٥) في المصرية أيضًا «ن ع ق» = صاح، و«ن ع ق ق» - صاح - كذلك. فكأنه جمع «ن ع» (العربية: نعا / نعي) الذي ثلث «ن ع ق». و«ن ق» (العربية: نقّ) في الرباعي «ن ع ق ق». وهذا ما يسمى (النحت).

(٦) وفي المصرية «ك ح ك ح» = كبر سنًا ـ كحكح، «ك ح ك ح ي» (شيخ عجوز. كحكحيٌ) «ك ح ك ح ي.ت» - اسم معبودة. كحكحية = عجوز (معجم بدج. ص ٧٩٧).

«إمي» «صَاحَ» = ماء (مأماً).

«إقد» (بَنَى. = قَدَّ).

«إتم» (إله الشمس) معنى الكلمة: الكامل. تَمَّ/ الأتمُّ/ التامُّ.

«إدب» (حاشية النهر) = ضفّ < ضفّة.

«إوس» (ميزان/ وزن) = سوَّى/ سواء.

«إهب» (رقص) = خَبَّ.

«إخم» (أطفأ) = «خم» < (أ) خمد/ خمَّد، أو «غَمَّ».

«إسپ» (قطع) = سيف[1] (پ = ف).

«إستن» (رَبَطَ/ حبل) = شطن (حبل. س = ش، ت = ط).

«إقر» (سَكَنَ، سَكَتَ) = قَرَّ.

«إدمي» (كتان أحمر) = دَمِّيٌّ/ دمويّ.

الظاهرة نفسها نجدها في اللهجة الأمازيغية/ البربرية ليس في حالة الجمع[2] فقط بل في حالة الإفراد كذلك. وهذه أمثلة لها[3]:

«إدق» (دقّ/ دقيق).

«إضعيف» (ضعيف).

«إفلفل» (فلفل).

«إجوال» (تنورة - جول/ أجولي).

«إجنه» (جُنَّة).

«إحسد» (حسد).

---

(١) جذرها الثنائي «سف» ومنها «سفن» = قطع. وسميت «السفينة» كذلك لأنها تقطع (تشُقُّ) الماء. وفي المصرية «إمف» isf كذلك: قطع.

(٢) في البربرية كما في العربية جمعان: جمع سالم، وجمع تكسير. وفي جمع المذكر السالم مثلا: أركّز. (شاب، رجل. العربية: رجز) في حالة المفرد، تتحول إلى (إرگازن) في حالة الجمع. (أخم) (غرفة بيت. العربية: خيم < خيمة) تصير (إخمن). (أفوس) (يدٌ) (العربية: خمش، خمس، خبش، هبش) تصبح في حالة الجمع: (إفوسن).

(٣) انظر: E. Destang: Textes Berbéres en parler des Chleuhs du Sous., pp. 368 - 370.

«**إمكلى**» (مأكل / مأكلة).

«**إتري**» (نجم / ثريا).

إننا نلاحظ في (إدقي، إضعيف، إفلفل، إحسد، إتري)، أن ما بعد (إ) ساكن، وكذلك الحال في (إجنه) (إمكلي) وينطبق هذا على (إجوال). فهل يكون إسباق (إ) تفاديًا للبدء بالسكون؟

هذا قد ينطبق على بعض الألفاظ، لكن لا يشملها كلها بحيث يصبح قاعدة مطردة..

وقد ناقش «غاردنر» (Eg. Gr., p. 209) هذه الهمزة الخفيفة التي تظهر في بداية عدد من المفردات (Prosthetic) و (Prothetic) في اللغة المصرية قديمها ومتأخرها، وهي عنده «تشير بدون شك إلى صائت قصير يسبق صامتين لا يفصلهما صائت». كما يلاحظ أن «في اللغات (السامية) يؤدي الصامت ألف "The consonant "alif غاية مماثلة[1]». وعن طريق هذه السابقة حاول «غاردنر» معرفة السبيل إلى تحريك صوامت المصرية أو نطقها (Vocalization).

**وهمزة الوسط:**

وهناك ملاحظة أخرى تتعلق بالهمزة أيضًا؛ إذ نعثر في المصرية على مفردات كثيرة تتخلل الهمزة صوامتها، وهي غالبًا ما تقابل «المدّة» في العربية الفصحى، كما نجدها تقع موقع ما يسمى «حروف العلة» أو الصوائت (الألف والواو والياء - وإن كانت في حقيقتها صوامت) من مثل:

«**هأي**»: وقع، سقط = هوى.

«**حأت**»: طعام، عيش = حياة.

---

(١) المصدر المذكور. ونحن في العربية نفرّق بين «الألف» باعتبارها صائتًا (vowel) والألف المهموزة، أو الهمزة، باعتبارها صامتًا (Consonant). والواقع أن الألف المكسورة في بداية ما أوردنا من أمثلة في العربية و (أ) في المصرية تكتب صوتيًا (أ) إشارة إلى أنها ليست مهموزة فهي إلى الصوائت أقرب منها إلى الصوامت، وهي أقرب إلى ما يسمى في العربية «ألف الوصل» أو «همزة الوصل» في مثل «ابن» و«اسم». وقد تعرض لهذه المسألة الخليل بن أحمد الفراهيدي وقرر أنها «لمع البدء بنطق الساكن». وعلى هذا الأساس ذهب د. إبراهيم السمرائي إلى إمكانية وجود النطق بالساكن في مراحل العربية الأولى، أسوة بما في السريانية. (انظر له: التطور اللغوي التاريخي، ص ٧١ - ٧٣).

«حأت»: قبر، مبنى، ضريح = حيط، حوط.

«سأ»: ابن، صاحب الشيء، مالكه = ذو.

«سأسأ»: دفع إلى الخلف، ردّ، ظهْرٌ = سيساء.

«تأيت»: ربة النسيج = طوى < طويت < طاوية.

وقد حلل الدكتور داود سلُّوم مسألة (إبدال الهمزة في الفصحى واللهجات)[1] ورأى «أن الهمزة كانت حرفًا من حروف الهجاء؛ لأنها تقع في كل اللغات (السامية) التي توصل إلى معرفتها علماء اللغات اليوم. فهي في الأكدية والأوغارتيَّة، والعبرية، والسريانية والعربية ولغة شرق وجنوب جزيرة العرب وفي الإثيوبية أيضًا»[2]. حسب ما ينقله عن L. Sabatino وآخرين في كتاب:

(An Introduction to Comparative Grammar of Semitic Languages, p. 45).

لكنه للأسف، نسي اللغة «السامية» الأخرى.. المصرية!

وبعد التحليل يصل الدكتور سلُّوم إلى القول:

«نحن نريد أن نقول هنا إن.. الفعل الثلاثي الأجوف المعلول بالألف لا يمكن أن يكون أصله واوًا أو ياء قط، وإنما يجب أن يكون أصله همزة، ثم تخلت الهمزة عن مكانها للواو أو الياء تبعًا لحركة كل منها، فنحن نفترض أن أصل (قال) هو (قءل)، ونقول في مضارعه (يَ قْ ءُ لُ) على وزن: يَنْظُرُ. ورميت حركة الهمزة على القاف، وحُذفت الهمزة، وعوضت ألفًا ساكنة، ورست حركتها على القاف، فأصبح الفعل (يَ قُ أْ لُ).. وقاد النطق إلى قلب الألف واوًا لتوافق الضمة قبلها، وتجنب صعوبة النطق بالألف الساكنة وأمامها القاف المضمومة، فأصبحت: «يَقُولُ». وهذا تطور أسهل تفسيرًا من تفسير النحاة، وأقرب إلى منطق اللغة العربية في حذف الهمزة وإبدالها»[3].

ويضرب الدكتور سلوم أمثلة للهمزة في أول الكلمة التي صارت واوًا (إشاح/ وشاح، إقاء/ وقاء. إعاء/ وعاء) وفي وسطها كما مر، وفي آخرها (فتئ/ فتى،

---

(١) دراسة اللهجات العربية القديمة، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٦.

(٢) المصدر السابق، ص ١١٥.

(٣) نفس المصدر، ص ١٢٢.

بقئ / بقي، توضأت / توضيت) .... إلخ. وليس الأمر خاصًا بالهمزة في الأفعال، بل نراها في الأسماء كذلك. وهذا ما يسميه الباحث «النبر» ويجعله في بني تميم من أهل نجد في مثل: الشأبة = الشابة، العألم = العالم، الخأتم = الخاتم، النأر = النار[1]. وقد عم تسهيل النبر في لهجاتنا الحديثة فصارت: الفأس = الفاس، الرأس = الراس، الذئب = الذيب، البئر = البير، المؤونة = المونة... إلخ. وفي اللهجة الليبية يسهل النبر حتى درجة الحذف، فيقال «افّاد» = فؤاد، كما تبدل الهمزة الأصلية واوًا في مثل «سوالْ» = سؤال. ناهيك عن الحذف والتسهيل والإبدال في آخر الألف من مثل: مينا = ميناء، رفا = رفاء، مري = مريء، وضوء = وضو... إلخ.

الهمزة إذن هي الأصل ثم جرى عليها الإبدال أو الحذف للتسهيل.. وهذا ما يبين كثرة ورودها في ألفاظ اللغة المصرية القديمة التي وقفت في تطورها عند حد معين كانت تناظر فيه العربية وقتها، وقد تطورت الأخيرة ذاك التطور الذي نعرف.

**رأي في الهمزتين:**

وقد ناقش هارون إمبير في مقدمة مصنفه (دراسات مصرية - سامية) قضية الهمزة هذه في النصوص الهيروغليفية سواء جاءت ألفًا مهموزة في حالة الفتح (أَ) أو الضم (أُ) أو السكون (أْ) في العربية، ويرمز لها في المصرية بصورة طائر، أو في حالة الكسر (إِ) ويرمز لها بصورة ورقة نبات الغاب، وهي عند بعض الدارسين تقابل همزة الوصل في العربية.

قال الأستاذ إمبير: «تمثّل الهمزة في الكتابة الهيروغليفية المصرية بكل من 𓅱 (عقاب أو نسر) و 𓄿 (ورقة نبات الغاب) في حين يطابق الأخير في المصرية شبيه الحرف (ي) في «السامية». وليست الصلة الأصلية بين هذين الرمزين الهجائيين واضحة تمامًا. ويفترض علماء المصريات عادةً أن 𓅱 كان منذ أقدم زمن الكتابة

---

(١) المصدر السابق، ص ١٢١ - ١٢٧، وانظر أيضًا: رمضان عبد التواب: بحوث ومقالات في اللغة، ص ١٣٠ - ١٣١. وقد بيّن ابن سيده في كتابه (المخصص) الأمر في قراءة «وكشفتْ عن سَاقَيها» بدلا من «ساقيها»، وهو «همزٌ لمشابهة الألف الهمزة، وقيل: هي لغة كبأزُ» (المصدر نفسه).

وفي المصرية «س أ ق»: مشى، سعى (معجم بدج، ص ٦٤٠) ولا شك في مكافأتها بالعربية «ساق». وفيها «ب أ ج»: صقر / طير جارح (بدج، ص ٢٠٧) تقارن بالقبطية bètch وهي العربية «بازٍ» = بازٌ.

الهيروغليفية علامة الحرف الصامت : ء (همزة) بينما كان 𓄿 مستعملا في البداية ليمثل شبيه حرف الحركة (الصائت) أ (ي) ولكن بما أن 𓇋 في المصرية كثيراً ما تحول إلى ء (همزة) فإن ورقة الغاب 𓄿 استخدمت لتمثل هذين الحرفين كليهما ، ولست مقتنعًا بأي حال من الأحوال بصواب هذه النظرة ، إننا نجد 𓄿 (= همزة) في أقدم الكلمات المصرية ، من مثل : idn = أُذُن ، iut = أتى / يأتي ، imn = (الإله) آمون iri = يرى (بإبدال في الكلمة المصرية) ، in = إنَّ ، idmi = [قماش أحمر] = أديم / دم ، ui= أوى ، مأوى (جزيرة) ، inm = أنام (جلد) ، ink = أنا . وينبغي على كل حال ملاحظة أن استخدام 𓄿 لتمثل 𓄡 محدود عمومًا في بعض حالات تكون فيها هي الحرف الصامت الأوّل . ويمكن تقرير وجهة نظري في العلاقة ما بين 𓄡 و 𓄿 كما يلي :

𓄿 حرف همزة حقيقي بينما 𓄡 كقاعدة يشير إلى همزة هامدة quiescent . وهذا الأخير كثيراً ما يستعمل ليمثل أي حرف صامت Consonamt (بما فيها الهمزة) التي همدت على مدى التغيّر الصوتي phonatic change ، رغم أنه في عدد من الحالات ، وبخاصة في بداية الكلمات (مثل : 3bi = رغب / بغى) يمثل 𓄡 حرف الهمزة . وخمود الصوامت شائع في المصرية خاصة في حالة حرفي الراء واللام . وبعبارة أخرى فإن 𓄡 يمثل كقاعدة بقايا صوت سابق ، أو بصيغة أصح ؛ هو يشير إلى موقع كان فيه حرفٌ صامتٌ من قبل ، تمامًا كما أن حرف الألف في كلمة «رأس» وفي العربية الحديثة «راس» ليس حرفًا خامداً بل يمثل حرف الهمزة الأصلي الذي اندمج في الحرف السابق له» .

على أساس ما تقدم يمكننا عند مكافأة المفردات المصرية التي تتخللها همزة أو أكثر أن نجردها منها لمقابلتها بالعربية ، وقد يجوز لنا أن نعتبر هذه الهمزة (صورة الطائر) فتحة أو مدةً للفتح تساوي الألف اللينة . ونضرب أمثلة لذلك مما جاء في هذا المعجم :

**باركت** (بركت) = بِرْكة . «**باراكا** (جثا = بَرَكَ) . **باق** (زيت = فاقٌ) . **بنجا** (فصل = فَلَجَ) . تأكرأ (أقفل = سكّر) . **جامح** (نظر = جَمَحَ) .

**حاو** (عري ، فرغ = خوى) . **حاقر** (جائع = حقر) . خأسي (عانى ، تعب = خسي) . **دانج / دانق** (قزم = دنق) . **ذارعا** (ضرب ، طرح أرضًا = صرع) . **رباشا** (شك السلاح = لبس) **سأحرو** (فجر = سَحَرٌ) . **ساق** (حشد ، جمع = سوق) . **شاو** (أحرق = شَوَى) .

**عابس** (لهب، جهنم = عبس). **عامعق** (وادٍ = عميق). **قارر** (قارب، مركب = قرقور). **قارتا** (بلدة = قرية). **كافر** (قرية، محلة = كفر). ماإس (ذبح، مُدية = موسى) **ماوت** (وفاة = موت). **نإعرو** (قنوات مائية = أنهار، نُهُر). **هاهمتي** (صيحات = همهمات). **وارخ** (أخضر = ورق).. إلخ.

**وعن حشو العين:**

وإذا كان ثمة تفسير لكثرة ورود الهمزة (أو الألف المهموزة. التي تسهل فتصبح ألفًا لينة) في الكتابة الهيروغليفية المصرية فإن تواتر حشو ما اتفق على أنه رمز للعين (حشو) يصعب تفسيره. وقد علق الأستاذ بدج على كلمة «ع ع أ م» (اسم نبات) بأنه من المستحيل الظن بأن المصريين القدماء كانوا ينطقون هذه الكلمة كما هي مكتوبة، ولذا فإن أقرب نطق لها يكون «عم» - بحذف إحدى العينين وتسهيل الهمزة لتكون صوت الفتحة بعد العين. وإذا كان يوجد في العربية مثال أو أكثر لما جاء في النص الهيروغليفي، أعني كلمة «هعخع» الشهيرة، فقد باتت مهملة منذ زمن بعيد، ذلك لعدم قبول توالي أربعة أصوات حلقية على اللسان نطقًا ولا في الأذن سمعًا[1].

فهل يمكن اعتبار كثرة ورود رمز العين من باب الزينة في الهيروغليفية؟ وهذا مردود؛ فهو ليس أجمل الرموز شكلا ولا يصلح للتزيين. أو هل يقوم مقام رمز الألف المهموزة، لقرب مخرج الصوت بينهما، كما يقوم حرف A اللاتيني مقام العين في كلمة عربية منقولة إلى اللاتينية؟ وقد يقبل هذا الزعم إذا لم يكن الرمز المذكور يمثل حرف عين أصليًا لا يمكن في بعض الحالات حذفه.

**وعلى كل حال فإن نفس الظاهرة نلقاها في النصوص السبئية، إذ تُحشى الهاء في مثل: يهقبض (يقبض)، يهنعم (ينعم).**

ولا ننسى أن الهمزة والعين والهاء أصوات حلقية من مخرج واحد وهي كثيرا ما تتعاقب، فنجد في السبئية: هطع (أطاع)، هعد (أعاد)، هقنى (أقنى = ملَّك) هوفى (أوفى). بل

---

(١) جاء في مادة «هعخ» في (اللسان): «هعْ» حكاية التغرغر، ولا يصرف منه فعل لثقله على اللسان وقبحه في المنطق إلا أن يُضطر شاعر». والقول نفسه جاء في مادة «هخخ» عن حكاية التنخم. وفي مادة «هعع»: «هعُ لغة في هاع أي قاء». فكان «هعخع» محاكاة لصوت القيء والتنخم، وهو ما يستقبح.

وفي العربية ذاتها حيث نجد : مهطعين (=مطيعين) ، هراق الماء (= أراق الماء) .

**تنوع اللهجات:**

من المهم هنا أن نشير إلى حقيقة واقعة هي ما يعرف بـ«التنوع اللهجوي» وليس «الاختلاف اللغوي»، وهو ظاهرة طبيعية في جميع اللغات قديمها وحديثها وبتنوع المكان والزمان ولا تنجو منه لغة من اللغات بدائية كانت - في تصورنا - أو متقدمة متكاملة. وهذه بديهية مسلمة باتفاق، ولا حاجة للتمثيل فهو أمر يدركه الجميع دون استثناء. غير أن هذا التنوع في النطق أو في التركيب أو في الدلالة أو حتى في القواعد النحوية، مهما بدا من غرابته وتطرفه، تمكن إعادته بالمقارنة والتحليل إلى الأصل الأصيل الذي انبثقت عنه اللهجات أو حتى اللغات ذات القربى بعضها من بعض. ولنأخذ مثلا ما في وطننا العربي الكبير أيامنا هذه من لهجات : شامية، عراقية، يمنية، حجازية، مصرية، ليبية، مغربية، سودانية.. إلخ. بيد أنها جميعها تعود إلى العربية الفصحى وهي العربية المشتركة، طرأت عليها مؤثرات وعوامل جعلتها تتمايز فيما بينها حتى ليمكننا، ببساطة، أن نجزم بأن المتحدث تونسي أو جزائري، أو موريتاني أو خليجي أو فلسطيني أو أردني أو عُماني، مثـــلا، من طريقة نطقه مخارج الحروف أو المفردات التي يستعملها. فكيف الأمر إذن إذا ما قصدنا المقارنة بين لغتين، أو لهجتين، إحداهما لا تزال سارية جارية على الألسن وفي المؤلفات والمكاتبات، أعني العربية، والأخرى طمرت في النواويس وتحت أكوام الرمل وأكداس الحجارة منذ أكثر من خمسة وعشرين قرناً من الزمان، وهي المصرية القديمة؟!

**وتطور الدلالة:**

هناك مسألة أخرى يجب أخذها بعين الاعتبار عند المقارنة بين لغتين أو أكثر وهي ما يجري على كل لغة، أو لهجة، في حد ذاتها من تغيرات وتبدلات داخلية على مر الأيام. ولننظر في الدارجة المصرية الحالية ولنقارنها بلغة الجبرتي مثلا، منذ ما يقرب من مائتي عام، فنجد اختلافًا في المفردات التي استعملها ذلك المؤرخ وما هو مستعمل اليوم، كما نلفى اختلافًا في التعابير والمصطلحات بل وفي التركيب اللغوي أيضًا. والذين يقرأون أزجال عبدالله النديم إبان ثورة ١٩١٩ . يلاحظون الفروق بينها وبين

أزجال شعراء العامية المعاصرين، وكذا الأمر فيما يتعلق بلغة الصحافة أيامنا ولغتها في بدايتها الأولى منذ قرن ونصف مثلا. هناك كلمات تموت، أو تنقرض، وأخرى تولد. مفردات تتبدل دلالاتها وبعضها تنقلب الدلالة فيه إلى الضد، وألفاظ تستحدث لها دلالات جديدة لم تكن معروفة من قبل. وهو ما ينطبق على أية لهجة من اللهجات العربية في أي قطر من الأقطار، كما ينطبق - بالطبع - على العربية المشتركة، التي نسميها الفصحى، سواء في قواعدها ونظمها النحوية والصرفية أو في ألفاظها ومفرداتها.

إن كلمات من مثل: السيارة، الطائرة، القطار، المذياع، الهاتف، الحاسوب، المصرف، الورق، الطباعة، الرصيف، الشارع، المدفع، الساعة (أداة قياس الوقت)، المحمول / النقال / السيار / الجوال، ومئات غيرها لم تكن لها ذات الدلالة في الذهن التي لها الآن.. مع أنها كلمات عربية قديمة جداً غير أنها أطلقت على مستحدثات لم تكن معروفة عند الأقدمين. وهذا ما حدث لألفاظ عربية كانت مستعملة في الحياة اليومية قبل الإسلام ولكن دلالاتها تبدلت بمجيء الإسلام واستعمالها استعمالا جديداً بمعنى جديد مثل: الصلاة، الزكاة، الجهاد، الصدقة، وحتى كلمة الإسلام ذاتها؛ إذ اكتسبت معانٍ دينية لم تكن لها من قبل وصار الذهن ينصرف عند سماعها إلى صورة معينة مرتبطة بالإرث الديني والتراث الثقافي لدى الإنسان المسلم.

**والنطق:**

نأتي بعدها إلى قضية أخرى هي قضية نطق الألفاظ وبيان مخارج الحروف، وهي قضية متشعبة معقَّدة في كتابة المصرية والعربية معاً. فنحن «نقرأ» ما هو مكتوب بالقلم الهيروغليفي حرفًا بحرف، أو نقرأ الصورة التي أريد التعبير بها عن لفظ معين أو كلمة بذاتها، ولكننا لا نعرف كيف كانت «تنطق» إلا قياساً أو تخميناً. فالكتابة في اللغتين لا تيسر معرفة كيفية النطق الصحيح في الهيروغليفية، وإن بذلت محاولات جادة لمعرفته اتخاذاً للقبطية مثالا أو مقارنة بالعروبيات. غير أن هذا لم يؤد إلى نتيجة حاسمة؛ ذلك لأن القبطية لهجة متطورة عن المصرية القديمة وقد دخلها كثير من اللفظ الأجنبي (من اليونانية خاصة) كما أن فيها ذاتها لهجات صغرى يختلف نطق الحروف

فيها بين لهجة وأخرى. وهناك حروف تعبر عن أصوات في الهيروغليفية انعدمت في القبطية.

الشيء نفسه حدث، ويحدث، في العربية التي يعبر نمط الكتابة فيها عما يسمى «الصوامت» Consonants وأهملت فيها «الصوائت» Vowels, مع أنها استنبطت استنباطًا فيما يعرف بـ (التشكيل) المستخدم في ضبط أصوات الحروف وحركاتها في مصحف القرآن الكريم مما جعله أضبط نص قراءة ونطقًا، مع ملاحظة أن ثمة «قراءات» فيه تعود إلى ما قبل استعمال التشكيل والإشارات الدالة على الوصل والقطع أي مواصلة القراءة أو التوقف عند هذا الحد أو ذاك. ولنأخذ مادة (ك ت ب) العربية على سبيل المثال. إنها يمكن أن تقرأ (وأضع هنا علامات التشكيل): كتب، كُتبَ، كُتُبٌ (جمع كتاب) كَتَبٌ (سرج الجمل أو الناقة) كَتَّبَ (أي جعله يكتب). ولم تكن علامات المد (الألف والواو والياء) مستعملة من قبل فكان لنا أن نقرأ مادة (ك ت ب): كاتَبَ، كاتِبٌ، كِتَابٌ، كُتَّابٌ، كَتُوبٌ، كِتِّيبٌ.

هذا هو حال المصرية، كما هو حال الكنعانية والسبئية (اليمنية القديمة) والليبية القديمة والآرامية والعبرية والحبشية (ولو أن الثلاث الأخيرة استنبطت سبلا للحركات في أثناء تطورها) ولعل الأكدية هي اللغة العروبية الوحيدة التي استطاعت باتخاذها القلم المسماري وسيلة للكتابة أن تعرفنا كيف كانت تنطق عن طريق إشارات وعلامات للنطق، وهو ما اتبعته اليونانية ثم اللاتينية وما تفرع عنهما من لغات.. بصرف النظر عن القلم المستعمل في كل لغة أو صلة الأقلام بعضها ببعض أو أخذ بعضها عن بعض لأن هذا الأمر ليس موضوعنا الآن.

**والقراءة:**

إن المشكلة التي تواجه قارئ الحروف العربية هي في كيفية نطق الحرف صوتيًا، أعني هل هو مفتوح أم مضموم أم مكسور أم ساكن؛ إذ هو غير مشكَّل ولا توضع إشارات فوقه أو تحته تبين الصوت المقصود. ومعنى هذا أن نطقنا لما نقرأ من حروفنا سماعي في العادة وهو ما يؤدي إلى اللحن الكثير الحدوث لدينا، اللهم إلا فيما أُتبع بحروف المد (الألف المسهلة والواو والياء) وهي كانت أساسًا حروفًا صامتة اتخذت

علامات لمد الصوت في مرحلة متأخرة نسبيًا كما سبق القول. فنحن يمكننا نطق المقطع (با) أو (بو) أو (بي) نطقًا صحيحًا ولكن حرف الباء ذاته تعسر معرفة نطقه في مثل (بلد) إذ قد يكون «بَلد»، «بُلد» أو «بلد» وكذلك اللام والدال في هذه الكلمة البسيطة فتكون لدينا الصور التالية: بَلَدَ، «بَلُد، بَلَدُ، بُلد، بُلُد، بُلد، بلد، بلد، بلد، بلدُ، بلد، بُلدُ، بلدَ، بَلْد، بِلْد، بُلْد.. إلى آخر الاحتمالات.

هذه الظاهرة، أو الخاصية، في العربية هي ذاتها في الكتابة الهيروغليفية للغة المصرية القديمة التي تخلو من علامات الحركة. لذا لجأ بعض علماء المصريات لتحريك الكلمة إلى رمز صوت يشبه الإمالة في العربية هو (e) يقحم فيها إقحاما وليس من بنيتها ولا وجود لرمز له في الرموز الهيروغليفية ولم يثبت أن المصريين القدماء كانوا ينطقونه. وهذا ما نجده في (معجم بدج) الذي نقلنا عنه ما يراه القارئ في هذا المعجم المقارن الذي بين يديه. بينما حافظ علماء آخرون على بنية المفردة الأصلية دون أن يضيفوا إليها رموز حركات يفترضونها عند نقلهم الرموز الهيروغليفية إلى الحرف اللاتيني وتركوا للقارئ تخمين النطق أو الاكتفاء بقراءة تلك الحروف ومعرفة ترجمة المفردة المعنية، دون معرفة نطقها الصحيح.

وكانت الرموز الهيروغليفية تسجل عادةً من اليمين إلى اليسار، كالعربية، وفي بعض الأحيان من أعلى إلى أسفل خاصة في بعض المعابد أو أضرحة الفراعين، ربما من باب الزخرفة والتزيين اللذين أغرم بهما المصريون القدماء، أما في أوراق البردي فإن الكتابة كانت من اليمين إلى اليسار. وقد اتبع هذا النظام علماء المصريات الأوائل، وفي مقدمتهم شامبليون، وحافظوا على هذا النسق كما وجدوه ونقلوه. غير أن المتأخرين من العلماء الأجلاء الغربيين ما لبثوا أن قلبوا الصورة فنقلوا تلك الرموز ليبدأوا من اليسار إلى اليمين، وقلبوا تبعًا لذلك التصاوير الهيروغليفية لكي تتفق ونمط كتابتهم بالحرف اللاتيني، فنحن نراها معكوسة في واقع الأمر، وهو ما يجده القارئ في هذا المعجم المنقولة رسومه وتصاويره عن معجم الأستاذ والس بدج.

وقد اتفق إجمالا على عدد من الرسوم اعتبرت «حروفًا» هجائية، لكن المعضلة ظلت في عدم الاتفاق تمامًا على القيمة الصوتية لكل حرف منها، في أغلبها على الأقل، عندما نُقحرت (أي نقلت حرفيًا) إلى حروف الهجاء اللاتينية؛ إذ قرأها كل عالم بما رآه نطقها

الصحيح مما أدى إلى خلط بيّن وأحيانًا إلى فهم مختلف رغم أن للهيروغليفية طريقة بديعة في تعيين معنى اللفظ المقصود وذلك برسم صورة خاصة به لا تُقرأ ولا تُنطق بل تشير إلى دلالة بذاتها سواء كانت دلالة حسية أم مجردة معنوية.

ولعل من أبرز أسباب اختلاف القراءات أن في المصرية القديمة أصواتًا لا يوجد ما يعبر عنها بالقلم اللاتيني لأنها لا توجد أصلا في حلوق أهل ذاك القلم وهي تقابل بالضبط ما في العربية، مثل أصوات الحاء (ح) والخاء المعجمة (خ) والذال (ذ) والطاء (ط) والضاد (ض) والظاء (ظ) والعين (ع) والغين المعجمة (غ) والقاف (ق). لذا اضطر العلماء الأعاجم إلى اتخاذ إشارات تضاف إلى الحروف اللاتينية بطريقة أو بأخرى للدلالة على النطق الذي يعتمده أي منهم للرمز الهيروغليفي، وإن اختلف عالم عن آخر في تصوره لنطق ذاك الرمز وما يقابله لديه مما حسبه صوابًا.

مقابلة الحروف الهيروغليفية:

يقول الأستاذ هارون إمبير في مؤلفه (**دراسات مصرية / سامية**) ما نصه:

«إن النظام الشائع الآن بين علماء المصريات لنقحرة علامات الحروف المصرية (وأنا أشير بالطبع إلى مدرسة برلين) هو في عدد من الحالات نظام غير صحيح ومتعسف ومضلِّل. وإن النقحرة الخاطئة للمصرية لتخفي إلى حد كبير الصلة الوثقى الموجودة بين هذه اللغة واللغات (الساميّة) الأخرى. ومن المرغوب فيه للغاية أن يوكل إلى لجنة قديرة تشكَّل من علماء المصريات و(الساميات) مهمة مراجعة نظام النقحرة الحالي طبقًا لمعرفتنا الآن للأصوات الساكنة في المصرية القديمة وصلتها بمثيلاتها في اللغات (السامية) الأخرى. وبمقدار ما يُعرف التطابق ما بين الأصوات المصرية و(السامية) فإن النقحرة ذاتها يجب أن تستخدم لكلتيهما. وسوف توضّح نقحرة حروف الهجاء المصرية تبعًا لهذه المقترحات، في التوّ، صلةً أقوى كثيرًا ما بين المصرية و(السامية)».

وقد عمد الأستاذ إمبير بعد ذلك إلى مقابلة كل رمز هيروغليفي اتفق على أنه يمثل حرفا هجائيًا بما رآه يؤدي من أصوات في مفردات مصرية، كافأها بالعبرية والعربية وأحيانا بالأشورية أو الأمهرية، على النحو التالي:

الرمز = (ء. همزة). ويتعاقب مع: ر، ل، ع، ي، ت.

الرمز = (ء. همزة). ويتعاقب مع: ي، و، ر، ل، هـ، د.

الرمز = (ع). ويتعاقب مع: غ، ح، ء (همزة)، هـ، ر، ل، ي، و.

الرمز = (و). ويتعاقب مع: ي، هـ، ب، م.

الرمز = (ب). ويتعاقب مع: م، و، ف.

الرمز = (پ). ويتعاقب مع: ف، ب، ت، ث.

الرمز = (ف). ويتعاقب مع: ب، ث.

الرمز = (م). ويتعاقب مع: ب، ن.

الرمز  = (ن). ويتعاقب مع: ل، ر، م.

الرمز = (ر). ويتعاقب مع: ل.

الرمز = (هـ). ويتعاقب مع: ء (همزة)، س.

الرمز = (ح). ويتعاقب مع: خ، هـ، ع.

الرمز = (خ). ويتعاقب مع: ح، ع، ش، ث.

الرمز = (خ). ويتعاقب مع: ح.

الرمز = (ز). ويتعاقب مع: ذ، ث.

الرمز = (س). ويتعاقب مع: ث، ش.

الرمز = (ش). ويتعاقب مع: س، خ، ث، ك.

الرمز  = (ق). ويتعاقب مع: ك، ج.

الرمز = (ك). ويتعاقب مع: ق.

الرمز = (گ). كاف الكشكشة. ويتعاقب مع: ك، ج.

الرمز = (ج). ويتعاقب مع: ق، ك، غ.

الرمز = (چ). ويتعاقب مع: ص، ض، ذ، ع.

الرمز = (ت). ويتعاقب مع: ط، ض.

الرمز = (د). ويتعاقب مع: ص، ض، ل، ط.

لكن المهم أن الأستاذ إمبير اعتمد حروف الهجاء العربية أكثر مما استند إلى حروف الهجاء العبرية، مع أنه يهودي وناشر الكتاب مؤسسة يهودية. كما تظهر معرفته الجيدة للغة العربية والإحاطة بما في معاجمها القديمة وبعض اللهجات المعاصرة، وإن لم يكن موفقاً التوفيق كله في وضع المكافئ العربي بالطبع.

**مدرستان:**

كما أشرت في مقدمة كتابي (آلهة مصر العربية) ظهرت مدرستان فيما يتصل باللغة المصرية القديمة، إحداهما تدعو إلى أنه لا صلة لهذه اللغة بالعروبيات وتدّعي أنها لغة خاصة مرةً أو أن لها جذوراً أفريقية مرةً أخرى، وأن ما يلاحظ من تماثل بينها وبين اللغات العروبية والعربية بالذات إنما يرجع إلى تأثر متأخر عند اتصال المصريين القدماء بجيرانهم في فلسطين وبلاد الشام. يقول والس بدج ما خلاصته أن **اللغة المصرية القديمة أفريقية أصلا جاء أهلها من منطقة البحيرات الكبرى وشرق أفريقيا وأن التأثير (السامي) الكبير هو الذي جعل البعض يزعم أنها لغة (سامية)**. وقد «ظل القوم يستعملون كلماتهم المحلية للتعبير عن أفكارهم الدينية خاصة في المعتقدات والطقوس الدينية، وإن كلمات من مثل: تف (أبّ/والد) سا (ابن/ولد) سن (أخ/شقيق) إف (لحم) قس (عَظْم) تب (رأس) إب (قلب) ع (يد) دس (نَفْس) كا (روح قرين) با (روح) وعشرات أخرى من الكلمات ظلت تستخدم من أقدم الأزمنة إلى آخرها، أفريقية ولا صلة لها باللغات (السامية)»[1].

وقد بيّنا من قبل أن ما استشهد به بدج من ألفاظ (أفريقية) هي أساساً ألفاظ عروبية (سامية - في مصطلحه). وحتى مع قبول أن هذه الكلمات، وعدداً آخر غيرها، محلية/أفريقية فماذا عن الآلاف من المفردات الأخرى الثابتة عروبتها وعن الاتفاق ما بين المصرية والعروبيات، والعربية بصورة خاصة، في قضايا النحو والتصريف وقواعد اللغة؟ وإذا سلمنا - جدلا - بأن سكان وادي النيل ليسوا من شبه الجزيرة العربية فكيف يأتون من (منطقة البحيرات الكبرى) بالذات؟ أنقص في المياه يا ترى؟! أم

---

(١) انظر: آلهة مصر العربية ص ١١٦ وما بعدها، لترى عروبة هذه المفردات كلها. وهي على كل حال موجودة في مواطنها من هذا المعجم.

دفعوا من الجنوب إلى الشمال دفعًا؟ ثم.. هل ننسى ما أقر به هو ذاته من قدوم هجرات كبيرة ومتعددة من شبه الجزيرة إلى شمال الوادي وجنوبه وهي هجرات صبغت مصر بالصبغة العروبية منذ عهد نارمر (مينا) إلى يومنا هذا؟

إن ما دفع الأستاذ والس بدج، وسواه من علماء الإنكليز، إلى رفض عروبة المصرية القديمة هو العامل الاستعماري، مثلهم في ذلك مثل العلماء الفرنسيين الذين اتخذوا الموقف ذاته، إلا فيما ندر، تبعًا لتوجهات السياسة البريطانية والفرنسية في تأريث نار الفرقة بين أقطار الوطن العربي الكبير وتشجيع النعرات الفرعونية والفينيقية والبربرية وغيرها فصمًا للعرى وقطعًا للصلات مما تجلى في تلك الدعوات الإقليمية التي بدأها أولئك «العلماء» الأجلاء وسرت من بعد في «تلاميذهم» من أبناء الوطن ذاته. وقد اكتوينا بنارها، ولا نزال نكتوي. إنه ليس علمًا خالصًا ولا هو بالبحث الموضوعي المجرد عن الهوى الذي أظهرته هذه المدرسة الاستعمارية في أساسها، بل لقد سخر العلم والبحث والمعرفة لأغراض سياسية ومصالح قومية ورغبة في الهيمنة على مقدراتنا ومصائرنا بكل سبيل، كما هو واضح للعيان.

أما المدرسة الأخرى فقد رأت أن مصر لم تكن يومًا معزولة عن محيطها العروبي، وأن سكان وادي النيل الأول كانوا من المهاجرين إليه من شرقه وغربه على مر الزمان لأسباب مناخية طبيعية، أعني لما حاق بالجزيرة والصحراء الكبرى من تبدلات في المناخ على مدى آلاف السنين حين قلّت أمطار هاتين المنطقتين ودفعت أهلهما إلى البحث عن مصادر للمياه حيث يمكن العيش وتتيسر الحياة. فكان طبيعيًا أن تتجه الهجرة من صحراء الجزيرة إلى الشمال - حيث الرافدين في العراق والمياه الغزيرة في بلاد الشام - وإلى الغرب - حيث وادي النيل. وكذلك فعل أهل الصحراء الكبرى الذين ذهب بعضهم إلى الشمال الأغزر مياهًا وإلى وادي النيل في الشرق، وقصد بعضهم الجنوب حتى بلغوا حوض خليج غانا وأبعد من ذلك. وإن ما يلاحظ من صلات لغوية بين الليبية القديمة في نقوشها المبعثرة على طول الشمال الأفريقي والمصرية القديمة ولغات الشام والرافدين والجزيرة وشرق أفريقيا وغربها، يفسره ذاك التمازج الممعن في القدم وتلك الهجرات البشرية المتبادلة بين مشرق الوطن ومغربه وهي هجرات ذكر بعضها التاريخ الذي سجلها ولم يذكر بعضها الآخر لأنها ببساطة كانت منذ ما قبل التاريخ. وعلى

هذا الأساس نشأت المدرسة الألمانية التي نادت بدراسة المصرية القديمة على ضوء اللغات العروبية ودعت إلى أنه من الصعب فهم تلك اللغة إلا بهذا الاعتبار. وإن نظرة سريعة إلى قائمة علماءالمصريات الذين اتبعوا هذا السبيل لتظهر أن جُلّهم من علماء الألمان، والتفسير المنطقي عندي أن السبب في ذلك راجع إلى أنه لم تكن لألمانيا مستعمرات في الوطن العربي بل ربما رأت في كتلة هذا الوطن الكبير إمكانية أن يقف في وجه منافستيها الأوروبيتين، بريطانيا وفرنسا، إذا ما توحَّد، ثقافيًا على الأقل إن لم يكن سياسيًا، ومن أهم ركائز هذه الوحدة: اللغة. فكيف مضت الدراسات اللغوية المقارنة بين المصرية القديمة والعروبيات.. والعربية بالذات؟

جهود السابقين:

تتبّع الدكتور أشرف محمد فتحي تاريخ تلك الدراسات في بحث بعنوان (محاولات التقريب بين المصرية القديمة والعربية.. الاتجاهات والمناهج)[1] على مدى نحو قرنين من الزمان، على أيدي الباحثين الألمان بصفة خاصة، بدأها «روسي» في وقت مبكر وحتى قبل فك رموز الهيروغليفية معتمدًا في الشق المصري على القبطية فقط، فأصدر كتابه باللاتينية عن (التأثيلات المصرية سنة ١٨٠٨م):

Rossi; Etymologiae Aegyptiocae.

ومن الأعمال الرائدة مصنف «بنفي» الصادر سنة ١٨٤٤م، بالألمانية:

Th. Benefey; über dos Verhältniss der Ägegyptischen Sprache Zum Semitischen Sprochstamm.

ثم معجم «هنريش بروغش» في سبعة مجلدات ما بين عامي ١٨٦٧ - ١٨٨٢م. بعنوان (**المعجم الهيروغليفي - الديموطيقي**):

H. Brugsch; Hieoglyphifch Wörterv boch.

وفي سنة ١٨٩٢م. قدم «إرمان» دراسته عن (**علاقة المصرية باللغات السامية**):

A. Erman; Das Verhaltnin der Ägegyptischen zu den Semitischen Sprachen.

---

(١) قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة عين شمس. قدمه إلى ندوة عن «الوحدة والتنوع في اللغات العروبية» عقدها مجمع اللغة العربية الليبي في طرابلس سنة ٢٠٠٤م. ونشر في (حولية المجمع) - العدد الثاني ٢٠٠٥م كما نشر في (وقائع الندوة) الصادرة في نفس السنة.

وخلال مرحلة ازدهار الدراسات المقارنة ما بين أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين نشرت مجموعة من البحوث والمقارنات بأقلام من مثل الأساتذة: **هومّل، شترن، ماكس مولر، كاليس، إمبير، زيته، وكوهن**. وصدرت كتب في الموضوع من مثل:

**أ. إمبير (دراسات مصرية – سامية).**

A. Ember; Egypto - Semitic Studies, Leipzig 1930.

**ف. كاليس (أسس مناظرة الألفاظ المصرية = السامية).**

F. Calice; Grundlagen der Äegyptisch - Semitischen Wortvergteichung, Wien 1936.

**ج. ڤيرغوت (تاريخ الصوتيات المصرية).**

J. Vergote; phonetiqte historique de l'Egyptien, paris 1945.

**م. كوهن (بحث مقارن عن الألفاظ والأصوات المصرية – الحامية).**

M. Cohen; Essai comparatif sur le vocabulair et la phonetique du chamito - Semitique, Paris 1947.

تلا ذلك في النصف الثاني من القرن العشرين مجموعة من الدراسات أهمها كتاب «روسلر» عن **(المصرية لغة سامية)**.

O. Röuler; Das Äegyptischc als Semitische Sprache, Berlin 1971.

وكتاب المجري «جابور تاكاتش» بالإنكليزية بعنوان **(المعجم التأثيلي للغة المصرية)**.

G. Takacs; Etymological Dictionary of Egyptian, Leiden 1999.

وكان قد سبقه سنة ١٩٩٤م بكتاب «هوخ» **(الكلمات السامية في النصوص المصرية في المملكة الجديدة والفترة المتوسطة الثالثة)**

J. Hoch; Semitic Words, Princeton 1994.

وفي مجال المقارنات النحوية نشر في سنة ١٩٥٤م مصنف «ثاكر» عن **(علاقة السامية والمصرية في نسق الفعل)**.

T. W. Thacker; The Relationship of the Semitic and Egyptian Verbal System, Oxford 1954.

وآخر بالألمانية للأستاذ **«لوبرينو»**.

A. Loprieno; Das Verbalsystem im Agyptischen und um Semitischem, Weisbaden 1986. (نظام الفعل في السامية وفي المصرية).

وبالإضافة إلى ما ذكره الدكتور أشرف فقد ورد في مقدمة كتاب هارون إمبير (دراسات سامية - مصرية) المنشور سنة ١٩٣٠م سرد عدَّد فيه البحوث التي سبقته عن علاقة المصرية بما يدعونه «السامية» بلغت نحو أربعين بحثًا بين كتاب ومقالة. وطبيعي أن تكون نشرت مجموعة كبيرة أخرى بعد هذا التاريخ، وإن كانت الحماسة قد فترت شيئًا فشيئًا مع مر الزمان. على أنه رغم التقدير الواجب لهذه الأعمال فإن جملة من الملاحظات حولها تبرز بوضوح لعل أهمها:

(١) أن معرفة هؤلاء الأجانب باللغة المصرية لا تضاهيها معرفتهم باللغات العروبية التي يقارنونها بها، وخاصة اللغة العربية؛ فإن (معجم برلين للغة المصرية) مثلا، وهو أهم معجم على الإطلاق، لا يضم سوى ستين (٦٠) مفردة عربية. وأما «إرمان» - وهو القائل بـ«سامية» المصرية أساسًا - فإنه قدم قائمة بالمفردات المقارنة لم تشمل سوى ٢٥٠ مفردة، حذف أغلبها لبعد احتماله أو أنه رآه مقترضًا من لغات أجنبية أخرى، فلم يبق من القائمة سوى خمس وسبعين (٧٥) كلمة فقط، شكَّ في خمس وعشرين كلمة منها فلم يثبت سوى خمسين كلمة.

(٢) أن معرفتهم باللغة العبرية، بحكم الخلفية الدينية والثقافية، أكثر من معرفتهم بالعربية، لذا فإن مقارناتهم تذهب إلى الاستشهاد بالعبرية وحدها في أغلب الأحيان.

(٣) أن المهتمين بهذا الموضوع كان يتابع أحدهم الآخر بحيث تراكمت جملة مكررة من الألفاظ المقارنة عن طريق النقل، مع بعض الإضافات أو التعديلات والتصويبات، بحيث ظل المعجم المصري المقارن بالعروبيات فقيرًا للغاية رغم توفر معاجم المصرية بمختلف اللغات الأجنبية والتمكن شبه الكامل من تلك اللغة ألفاظًا ونحوًا وصرفًا.

**وعن الباحثين العرب:**

أما فيما يتصل بجهود الباحثين العرب فنذكر أن بداية الكشف عن اللغة المصرية ثم دراستها والكتابة عنها والاهتمام بها ذاك الاهتمام الكبير، كان على أيدي الأوروبيين بإطلاق. وبذا كانت لهم السيطرة التامة على تاريخ مصر وآثارها ولغاتها القديمة وكل ما يتصل بماضيها يقرأونه كما يريدون ويفسرونه كما يشاءون. ومع هذا فإنه ما إن

اتصل عالم عربي جليل بهذا الأمر واستغرق فيه وعرف أبعاده، حتى أدرك بحسه القومي وتضلعه في لغته العربية الأم، أن اللغة المصرية القديمة ليست لغة «سامية» فحسب، كما قال البعض، بل هي لغة عربية قديمة لها بالعربية العدنانية أقوى الوشائج وأوثق الصلات. ذاك هو أحمد كمال باشا[1]، الرائد الأول لعلم الآثار المصرية وأول من كتب من العلماء العرب عن عروبة لغة وادي النيل منذ فجر التاريخ. وهو ترك مصنفات مهمة، إلى جانب المقالات التي كان ينشرها في المجلات والدوريات، من أبرزها كتابه **(العقد الثمين في تاريخ قدماء المصريين)** و**(الفرائد البهية في قواعد اللغة الهيروغليفية)** لكن عمله الأهم كان مشروعه الكبير **المعجم الهيروغليفي العربي المقارن** الذي سطره بالفرنسية مع اقتباسات وشواهد بالعربية. وإذا صرفنا النظر عما جاء فيه من اجتهاد لم يكن صائباً أحياناً فإن اجتهادات له كانت صحيحة تماما، ويبقى له مع هذا فضل الريادة الذي لا يمكن تجاهله.

ويُذكر للدكتور أحمد بدوي وضع ما أسماه **(المعجم الصغير في مفردات اللغة المصرية القديمة)** بالاشتراك مع الألماني «هرمان كيس» بالعربية، وهو معجم تعليمي لطلاب المصريات نشر في القاهرة سنة ١٩٥٨م وله بحث بعنوان **(اللغة المصرية القديمة وصلتها باللغات السامية)** قدمه في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٦١م ولو أن الدكتور بدوي لم يكن يرى رأي أحمد كمال في أن وحدة لغات شعوب المنطقة تؤدي بالضرورة إلى وحدة أصل هذه الشعوب. وفي نفس الفترة تقريبا أصدر الدكتور محسن بكير مؤلفه **(قواعد اللغة المصرية في عصرها الذهبي)** سنة ١٩٥٤م

---

(١) ولد أحمد كمال سنة ١٨٥١م وتوفي سنة ١٩٢٣م. وكان أول رئيس لما يُعرف الآن بهيئة الآثار المصرية. نشر كتاباه (العقد الثمين) و(الفرائد البهية) في أثناء حياته، أما معجمه المقارن فقد أهمل منذ قدمه للطبع قبل وفاته بعام واحد وكونت له لجنة مكونة من الفرنسي «لاكو» والبريطاني «فيرث» والأمريكي «رايزنر». ورغم أن الأخير مال إلى الموافقة على طبع المعجم فإن زميليه رفضا ذلك بحجج واهية. وقد توزعت أجزاء المعجم البالغة اثنين وعشرين جزءا بين ورثة أحمد كمال لنحو ثمانين عاما حتى تمكنت هيئة الآثار في مصر من جمعها وأصدرت الجزء الأول منها سنة ٢٠٠٢م بخط المؤلف الذي سجل الرموز الهيروغليفية ومقابلها بالحرف اللاتيني مع شروح وتعليقات بالفرنسية ومقارنات بالعربية. والأمل كبير في أن تتجرد جماعة من العلماء لترجمة الأصل الفرنسي إلى العربية وأن يحقق هذا العمل الريادي الكبير وينشر بطريقة تليق به وبصاحبه، وإضافة ما استجد في هذا المجال بعد مضي هذه المدة الطويلة على التأليف.

نحا فيه منحى أحمد كمال في مقارنة قواعد المصرية بالعروبية والعربية بوجه خاص. وهو دعم هذا المنحى في مؤلف آخر له صدر بالإنكليزية بعنوان **(ملاحظات عن النحو المصري المتأخر. مقاربة سامية)**.

A. M. Bakir ; Notes on Late Egyptian Grammar; A Semitic Approach, Warminister 1983.

وللدكتور عبدالعزيز صالح مساهمة قيمة في هذا المجال في كتابه **(حضارة مصر القديمة وآثارها)** الصادر سنة ١٩٦١م وخاصة في جزئه الأول. وفي سنة ١٩٧٦م قدم بحثا إلى مؤتمر باحثي الآثار المصرية بالإنكليزية ترجمة عنوانه **(ملاحظات حول القيم الصوتية لبعض الحروف المصرية)**.

A. Saleh; Notes on the Phonetic Values of Some Egyptian Letters, in ICE, Cairo 1976.

ويعتبر كتاب **(اللغة المصرية القديمة)** للدكتور عبدالحليم نور الدين الصادر في القاهرة أواخر تسعينيات القرن العشرين لبنة جديدة في الدراسات التي وضعها علماء عرب مصريون باللغة العربية وبمنهج عربي أيضاً. وهناك عدد من الرسائل المقدمة لنيل درجات علمية في الجامعات المصرية، مثل أطروحة الدكتورة زينب محروس عن **(المفردات في اللغة المصرية القديمة حتى نهاية الدولة الحديثة؛ دراسة في الإبدال مقارنة باللغة العربية)** التي نوقشت بجامعة القاهرة سنة ١٩٩٤م كما تتزايد الدراسات المقارنة في المقالات التي تنشر في الدوريات المتخصصة والأمل أن تتوالى وتزداد اتساعاً وعمقاً، فالحق أن الإسهام العربي في هذا الباب لا يزال ضئيلا، ولم يبلغ بعد ما يجب أن يبلغه من توسع وإحاطة وبيان.

**معاجم هيروغليفية:**

منذ بداية فك الرموز الهيروغليفية صدرت عدة معاجم للغة المصرية تباينت حجماً وكماً في المفردات والألفاظ كما اختلفت، بالطبع، في الترجمة إلى اللغات الأوروبية المعاصرة خاصة الفرنسية والإنكليزية والألمانية استعرضها والس بدج في مقدمة معجمه هو حتى عصره وتلته معاجم أخرى فيما بعد. وكما هو متوقع فقد أشاد بعمل مواطنه الإنكليزي ثوماس يُنغ الذي كان ينافس شامبليون في محاولة فك الرموز الهيروغليفية

وأعد في الوقت نفسه (المعجم الديموطيقي) الذي نشر بعد وفاته ملحقًا بكتاب **(النحو القبطي)** للعالم (تَتَّامْ) في سنة ١٨٣٠م

An Appendix to Tattam "Coptic Grammar" London 1830.

وفي سنة ١٨٤٦م صدر في باريس معجم شامبليون **(المعجم المصري بالقلم الهيروغليفي)** بعد وفاته أيضًا، بإشراف شقيقه شامبليون فيجياك.

Dictionnaire Égyptien en Ecriture Hieroglyphique. Paris 1846.

وتبع ذلك كتاب بيرش **(معجم الرموز الهيروغليفية)**.

Birch; Dictionary of Hieroglyphics, London 1867.

وكان بيرش يتبارى والعالم الألماني هنريش بروغش يحاول كل منهما سبق الآخر. وقد نشر بروغش معجمه الكبير عن المصرية بالقلم الديموطيقي في فصول ما بين السنوات ١٨٦٧ - ١٨٨٢م وفي سنة ١٩٢٠م أصدر والس بدج معجمه.

W. Budge; An Egyptian Hieroglyphic Dictionary, London 1920.

الذي أعيد طبعه مرتين، في مجلدين كبيرين. ولم يصدر بعدها معجم ذو اعتبار سوى عمل فوكنر **(معجم موجز للمصرية الوسطى)**.

R. O. Faulkner; A Concise Dictionary of Middle Egyptian, Oxford 1981.

وفي هذه الأثناء كانت تظهر بين الحين والآخر دراسات تفصيلية في الدوريات الخاصة باللغة المصرية القديمة أو اللغويات المقارنة.

**أما في اللغة العربية** فلا يوجد، حسب ما أعلم، أي معجم للمصرية عدا مصنف الدكتور أحمد بدوي بالاشتراك مع الألماني هيرمان هيس المذكور فيما سبق. وهو أمر يبعث على الأسف والأسى؛ إذ كيف يحدث أن لم يخصص عالم أو أكثر من علماء المصريات في الجامعات المصرية، وهم - بحمد الله - كثيرون، جزءًا من الوقت لتأليف معجم بالعربية، وقد توفرت المصادر والمراجع؟ فإن لم يكن تأليفا فلتكن على الأقل ترجمة لواحد أو أكثر مما سبقت الإشارة إليه؟ كيف لم يتيسر لمعهد متخصص في الآثار أو اللغة المصرية بمراحلها على مر الزمان، أو لقسم من الأقسام في كلية جامعية من الكليات، إعداد مثل هذا المعجم حتى الآن؟ كيف يترك هذا التراث الثرُّ المدهش محصورًا في جملة من اللغات الأجنبية وتُحرم العربية وقراؤها وأهلها من الاطلاع عليه

ومعرفته المعرفة الحقيقية؟ أليس هذا محزنًا غاية الحزن وموجعًا الوجع كله؟

لقد أقدمت، تحقيقًا للوعد، على إعداد هذا المعجم المقارن ما بين المصرية القديمة والعربية، مدركًا خطورة الإقدام وصعوبة المسيرة ووعورة السبيل. **وهو ليس معجمًا للمعاني فحسب بل إن غايته الأولى تبيان تكافؤ اللغتين في الألفاظ والمفردات**، بعد أن بينت من قبل التشابه في قواعد كلتا اللغتين الشقيقتين. واخترت أن أستند إلى معجم الأستاذ والس بدج بالذات لسببين؛ أولهما إنكار الأستاذ أن تكون المصرية لغة عروبية (سامية - في مصطلحه) فرمت من خلال معجمه هو ذاته أن أظهر خطأ مذهبه وخطل رأيه وأدلل على ما أقول به، ويقول به آخرون ممن ذكرت من قبل، من أن المصرية القديمة، وبالطبع ابنتها القبطية[1] لغة عروبية صميمة. وثانيهما سبب فني يكمن في أن هذا المعجم أوضح ما رأيت صورة وترتيبا يسهل نقله عن طريق الحاسوب بيسر، فضلا عن كونه اتخذ للطباعة رموزًا، أو حروف هجاء، هيروغليفية معدَّة لذلك في منتهى الدقة بل والجمال، وهو أمر لم تكن متسمة به معاجم أخرى (مثل معجم فوكنر) الذي اعتمد خط اليد لرسم الرموز الهيروغليفية ومعانيها باللغة الإنكليزية، فجاءت حروفه وكلماته يزحم بعضها بعضًا صعبة القراءة على غير المتخصص ذي الألفة بالموضوع.

رتب بدج معجمه ترتيبًا هجائيًّا خاصًّا به مختلفًا عما سبقه واعتمد لحروف الهجاء، أو الرموز المعبرة عن مقطع أو أكثر، في الهيروغليفية حروفًا لاتينية هي كما يلي:

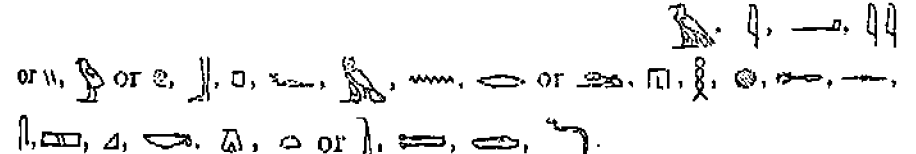

وكان يبدأ - من اليسار إلى اليمين طبعًا - بتسجيل قراءته للرمز الهيروغليفي بالحرف اللاتيني، يلي ذلك صورة للرموز، واحدة أو أكثر بحسب المصادر التي أخذ عنها غالبًا، ثم تأتي ترجمته للكلمة إلى الإنكليزية، وكثيرًا ما يضيف جملة أو مرادفًا للكلمة في حالة الفعل أو يأتي بها جمعًا في حالة الاسم، برموزها ومصادرها وترجمتها، بعدها يورد بعض المقارنات بلغات أخرى بالقلم الذي كتبت أو لا تزال تكتب به تلك اللغة، أثبتها في نهاية

(١) انظر كتابي: القبطية العربية - نشر مركز الحضارة العربية، القاهرة.

المعجم وهي: العبرية، واليونانية، والسومرية والأشورية والفارسية، والسريانية، والعربية، والإثيوبية والأمهرية - حسب ترتيبه. أما القبطية التي جاءت الأولى في هذه المقارنات فلم يعتبرها من اللغات الأجنبية إذ هي لديه وريثة المصرية القديمة، وهو هنا على صواب.

**وكما فعل الأستاذ بدج فيما يتعلق بالترتيب الهجائي لمعجمه فعلت**؛ إذ اتبعت ترتيب الهجاء العربي (الألفبائي وليس الأبجدي) ولكنني حافظت، للضرورة، على تسلسل ترتيبه هو في كل حرف من حروفه على حدة، فليس من اليسير إعادة الترتيب وفيه عناء لا يقدر فرد أن يتحمله. وسيبقى الأمر على حاله إلى أن يقيض الله من يقوم بتأليف معجم مصري - عربي غير مترجم عن لغة أجنبية فينسقه بنسق عربي مألوف. ويلاحظ القارئ أنني استعملت الحرف العربي فقط في نقلي رموز الهجاء الهيروغليفية وترجمة ما جاء في الإنكليزية أو بعض اللغات المقارنة الأخرى لأنها موجودة بالقلم اللاتيني أو سواه في الأصل المصوّر تصويرا، وأنني وصلت حروف المقابل للهيروغليفية تأسيا بالعربية وليتعود القارئ ذلك، وكانت العادة أن تكتب مقطعة كما هو نمط الكتابة الطباعية في اللاتينيات. كما أنني حذفت الزائد من استطرادات ومرادفات وصيغ جموع واقتباسات في الأصل لأنها ستكون ثقلا كبيراً عند التصوير والطبع ويمكن للمتخصص العودة إليها في موطنها.

سيجد القارئ على يسار الصفحة ما نُقل مصوراً، بالحرف اللاتيني للرموز الهيروغليفية والترجمة إلى الإنكليزية، وإلى يمينها النص المصري بالحروف العربية ثم ترجمة المعنى بالإنكليزية إلى العربية، يلي هذا بين قوسين ( ) المكافئ العربي، المصدر أولا ببنط مميز ثم ما اشتق منه بعد ذاك إذا كانت هناك ضرورة زيادة في توضيح المكافئ، وقد يكتفى أحياناً بذكر الكلمة العربية المكافئة للكلمة المصرية دون تفصيل لرضوحها. وتبدأ كل كلمة جديدة الدلالة بنجمة * يتلوها المشتق منها أو ما له بها صلة دلالية، ثم تلي كلمة أخرى بدلالة أخرى بذات النجمة - وذلك تيسيرا على القارئ حتى يمكنه الربط بين اللفظ والدلالة والاشتقاق.

تجدر الإشارة إلى أن معجم والس بدج، الذي اتُّبع هنا مثالا واستُقيت منه مادة هذا المعجم المقارن الذي بين يدي القارئ، يمكن أن يوصف بأنه «معجم عام» للغة المصرية القديمة، بمعنى أنه ليس محدداً بعصر معين من عصور تطور تلك اللغة وما اصطلح عليه المختصون من تقسيم

مراحلها وتعيين خصائص كل مرحلة من حيث دلالة اللفظ أو نطقه أو حتى كتابته. ولعل هذا هو السبب فيما نلاحظه من ورود كلمة ما في صورة ما ثم نجدها مكررة مختلفة الصورة قليلا أو مبدلة بعض أصواتها وحروفها المعبرة عن تلك الأصوات، نظراً لما طرأ عليها من تبدل بحسب العصر أو الموقع مما هو مجال دراسات العلماء المختصين.

ملاحظة نضيفها هي أن الأستاذ بدج كثيراً ما يقارن اللفظ المصري بما في العبرية أو القبطية - مما يجده القارئ في بعض مداخل هذا المعجم. ولم نشأ تتبُّع تلك المقارنات لأسباب فيها أن ما في القبطية قد قُدِّم من قبل في كتابي (القبطية العربية) وأن المقارنة بالعربية تغني عن المقارنة بالعبرية، وأن المعجم، إن فعلنا، سوف يتضخم بشكل كبير. وعلى كل فإن لتلك المقارنات باللغتين المذكورتين وغيرهما مجالاً للمتخصصين المحيطين بالقضية من جوانبها المختلفة.

وختاماً..

من المؤكد أنني لم أقم بـ«تعريب» كل ما في المعجم المذكور من مفردات مصرية قابلة للمكافأة والمقارنة بالعربية، وأجدني كلما عدت لقراءة هذا المعجم أو غيره أعثر على المزيد مما يمكن إيضاح عروبته وبيان عربيته. وعذري أن هذا العمل أخذه على عاتقه فرد واحد في جميع مراحله دون استثناء، وبدون مساعدة أو عون من أحد وهو فرد قليل الزاد لا يقدر على أن يحيط بكل شيء علماً، ﴿وفوق كُلِّ ذي علمٍ عَليمٌ﴾. ويرجو صاحبه أن يغفر له ما اعتراه من نقص أو بدا فيه من خطأ أو سوء فهم أو حتى سوء تقدير، فهو بشر يخطئ ويصيب والعصمة لله وحده لا جدال، والأمل كبير في أن يأتي من بَعْدُ من يكمل المسيرة ويصوِّب الغلط أو يضيف إلى ما حاولت تقديمه جديدا هو في حقيقته بالغ القدم، حتى يتضح **«البرهان»** ساطعاً على عروبة اللغة المصرية وعروبة أهلها الأولين بما يقطع الشك باليقين.

لقد كان وعداً قطعته منذ نحو ربع قرن من الزمان، وأحمد الله أنني أوفيت، ولو بجزء مما وعدت.

علي فهمي خشيم

طرابلس - باب بن غشير

31. 12. 2006 م.